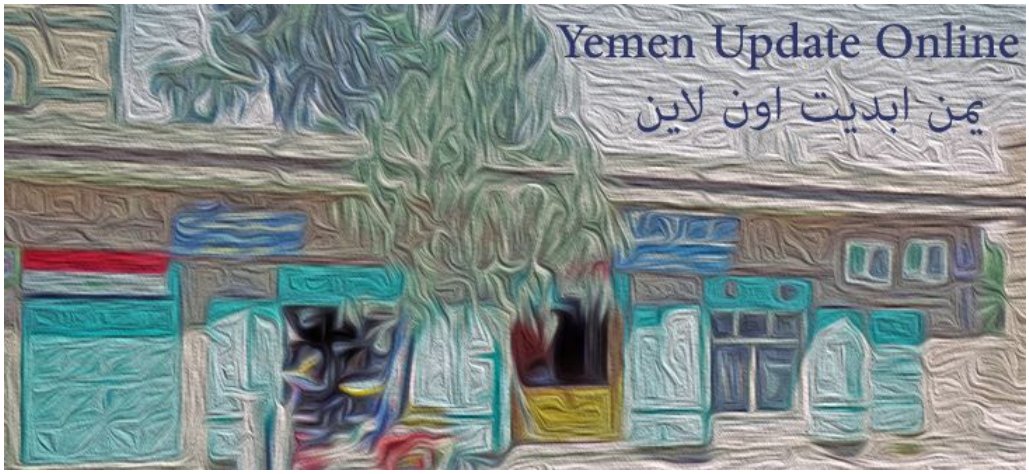

٢٠٢٣

٥٥#

٣أ

فولكلور عدن الصغرى - أوليفر مايرز

تقرير استخباراتي بريطاني، يوثق لبقايا الوثنية في عدن، منتصف القرن العشرين.

Myers, Oliver H. (1944). "Little Aden Folklore", *Bulletin de l'institut français d'archéologie orientale*, Le Caire. (44), pp. 177-233.

ترجمة وتعليق: محمد عطبوش؛
مراجعة: عُمر الدُعَيس؛
تحقيق ميداني: ياسر علوان.

الكاتب:

أوليفر هَمفرِز مايرز (Oliver Humphrys Myers):

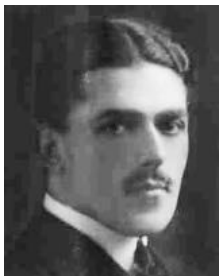

أوليفر مايرز (أو ميرس) عالم آثار بريطاني، وُلد في 27 يوليو 1903، والده هو Alfred Edward Cecil مقدم في سلاح المدفعية البريطانية. والصورة المرفقة هي صورة والده.

نقّب مايرز في موقع "تل فارة" (Tell Fara) في فلسطين، ودرس الهيروغليفية لاحقاً في عام 1929 على يد عالم المصريات الشهير جاردنر، ثمّ عُيّن في عام 1936مديراً للتنقيب وعمل مع صديقه عالم الآثار والكيمائي البريطاني "روبرت موند" (Sir Robert Mond) ولا يكاد أوليفر مايرز يُعرف إلا من خلال إسهاماته مع روبرت موند.

خدم مايرز في سلاح المخابرات في المدة بين عامي 1941-1946 وذلك في مصر وليبيا وفلسطين وسوريا ولبنان وعدن، وعمل منسقاً رسمياً للاستخبارات تحت إشراف المشير ويلسون (Wilson) والجنرال كوليت (Collet) ثم عاد للتدريس في كلية غوردون في الخرطوم [جامعة الخرطوم حالياً]، ونقّب في موقع أبكا (Abka) بالقرب من وادي "حَلْفَا" في السودان، وكان أستاذاً زائراً في معهد الدراسات السودانية القديمة بالزمالك عام 1950، وعمل بعد عام 1953 في دول مختلفة في الشرق الأدنى، ثم عُيّن محاضراً أول في جامعة إبادان (Ibadan) في نيجيريا. وتُوفي مايرز في 26 نوفمبر عام 1966، دون أن ينال المكانة العلمية التي يستحقها رغم انتاجه الآثاري الدقيق والواسع[1].

وبحسب د. أحمد باطايع، ففي شتاء 1947 - 1946 قاد ميرز وزوجته مسحاً أثرياً في عدن بعد حصوله على تصريح من حكومة عدن حينها، لمسح بعض المواقع في عدن وحولها، حيث مسح مستوطنة صبر "لحج" والتي تؤرخ من العصر البرونزي، وقام بتحريات أخرى في مواقع من القرون الوسطى. وفي عدن قام بحفرية إنقاذية في مقابر "بئر فضل" قرب الشيخ عثمان وأرّخ تلك القبور (من القرن الأول والثاني الميلادي) وجمع من تلك القبور مجموعة من الأواني الفخارية المزججة ورؤوس تماثيل وأقراط ذهبية دقيقة الصنع، سلّمها إلى متحف عدن. ولم تُنشر معلومات عن نتائج تلك الحفرية، ولكن نجد أخبارها في بعض المنشورات العلمية[2].

مساعد الكاتب (؟):

أشاد كاتب المقالة بفضل وكَرَم الدكتور عفارة في إتمام هذا التقرير، ولكن دون توضيح هوية الشخص المقصود باسم عفارة؛ يقترح الأستاذ أحمد عبدالله فضل الفضلي أن يكون Afara المذكور هو أحد أفراد أسرة "عفارة" المعروفة. وكان منهم محمد صالح عفارة المساعد الإداري للسلطنة الفضلية، وعبدالله عفارة عضو الكشافة والحائز على وسام الخدمة الطويلة، والدكتور أحمد سعيد عفارة (1910-1968 م) الظاهر في الصورة المرفقة، ولعله هو المقصود هنا.

---

[1] تلخيصاً لسيرته المنشورة في موقع "القطع الأثرية من الحفائر" المخصص للتعريف بأعمال البعثات الأثرية البريطانية في مصر بين عامي 1880 و 1980 (egyptartefacts.griffith.ox.ac.uk).

[2] الفقرة الأخيرة منقولة بتمامها عن مقالة للدكتور أحمد باطايع بعنوان: العمل الآثار في عدن منذ التأسيس حتى الاستقلال. في الندوة العلمية الأولى حول عدن ثغر اليمن، الماضي والحاضر والمستقبل، ج2: ص 689 - 707. عدن: جامعة عدن للطباعة والنشر، 1999، والإحالة هناك في الهامش رقم 33 إلى مقالة Ann Perking 1944 وتقرير B. Doe 1965.

المترجم:

باحث يمني تخرّج ن قسم العلاقات الدولية في جامعة البحر الأسود في جورجيا، صدر له كتاب "نقد الإعجاز العلمي - أزمة الدين والعلم" عن دار مسارات، وكتاب "الفكر السحري في الإسلام - جذور الدين والعلم" عن دار الرافدين، ومجموعة مقالات مترجمة صادرة في بعنوان "من مأرب إلى مكة" و"نقوش اليمن والقرآن" كتابين عن دار الرافدين. نشر بحوثاً محكّمة في عدّة دوريات علمية مختصة في مجال النقوش العربية الجنوبية والمعتقَدات الشعبية اليمنية، بالعربية والإنجليزية، وله إسهام في دراسة بقايا اليمن القديم في الفولكلور اليمني ونَشْر نقوشٍ قديمة، ويعمل على مشروع جمع المعتقَدات الشعبية.

خالص امتناني للصديق محمد بدرة (من سوريا) الذي زودني بمسح ضوئي أوضح لصور التقرير، على الرغم من أحوال جائحة كوفيد 19 وما تبعها من قيود، وذلك بعد الوصول إلى نسخة من التقرير في إحدى مكتبات باريس. وقد اضطررتُ للاكتفاء بصورة والد كاتب التقرير، لعدم وصولي على صورة للكاتب على شبكة الإنترنت، ولا في أرشيف جامعة درم (Durham)، ولا في أرشيف جمعية استكشاف مصر (Egypt Exploration Society)، وربما يجد المتتبع صوراً له في أرشيف جامعة الخرطوم. كما لم نجد أصول الصور المنشورة في المقالة هذه في أرشيف المعهد الفرنسي للآثار الشرقية (Institut français d’archéologie orientale)، لا في فرع في القاهرة (الناشر الأصلي) ولا في المركز الرئيس في فرنسا.

ملاحظات على الترجمة:

[المُراجعون للأصل]:

هي الهوامش التي ألحقها الكاتب على آخر التقرير؛ فضّلنا نقلها إلى حواشي كل صفحة لتسهيل النظر فيها أثناء قراءة المتن. وقد علق عليها الكاتب بقوله: **"حصلنا على التصويبات والإضافات التالية خلال المسح الأثري لعام 1947/1946. ونظراً لغياب المواصلات، تعذّر توسيع المُشاهدات على عكس المأمول. ولكن بفضل مساعدة وكَرَم د. عفارة غير المحدود، تحققنا من جميع الأعمال السابقة وأجرينا التصويبات والاضافات التي تليها، ويعود فضلها إليه مباشرة أو بشكل غير مباشر"**.

[المترجم]:

هي تعليقات المترجم (محمد عطبوش)؛ وكل ما هو بين قوسين مربعين [ ] هو إضافة من المترجم لتوضيح المعنى، سواءً في المتن أو في الحواشي. وهذا يشمل تصويبات وتعقيبات زوّدنا بها الأستاذ **ياسِر عَلوان** (مِن سكّان المنطقة قيد الدراسة - فُقُم) في يوم 26 يوليو 2021، وهي تتضمن ما جمعهُ الأستاذ علوان من معلومات (خلال أسبوع)، زودهُ بها الأستاذ "جِهاد أحمد يونس" وآخرون من أبناء المنطقة، فلهم جميعاً جزيل الشكر والتقدير.

مَـــــرَدَةٌ وشَـيْـطَـــــــان،
مردوفُ الأجنحةِ وَالعَيْـنَان،
قـد بَـلَـغَ سُـلـطـانةُ العَنـــان،
مـنـذُ عَـهْـدِ مُلكِ سُلَيمَـــان[3].

تقديم:

على الرغم من أن موضوع هذه الملحوظات يتعلق أساساً بشبه جزيرة عدن الصغرى، إلا أنه يمتد بالضرورة إلى داخل وخارج [منطقة] بير أحمد. وقد أضيفت ملحوظات أخرى بشأن عدن ولحج وغيرهما.

يدرك كاتب هذه السطور، أكثر من أي أحد آخر، حقيقة كون ملاحظاته تمتاز بما أغفلته أكثر مما أوردته؛ ولكنه [تركها] أملاً منه في أن الثغرات الكبيرة ربما تستفز أحد الأنثروبولوجيين المحترفين لإجراء دراسة جادة في بيئة المحمية شديدة الثراء، كما هو حال بالنسبة لكافة المستعمرة [البريطانية في عدن]. ثمة حاجة إلى وصف شاهد عيان للعادات اليومية، وعادات الولادة والزواج والجنازة، التي لم يُتح وقت ولا الفرصة لتوثيقها. وقد جرى البدء برسم خريطة تبيّن الأسماء المحلية ذات الأهمية الميثولوجية والتاريخية الكبيرة، ولكن تعذر إكمالها بسبب الحماس المضلل للضابط البدوي.

وعلى كل حال، فإن [كتائب] جبايات محمية عدن تكفلت باستكمال الخريطة، وبفضل بمعداتها المتفوقة، فإن النتيجة ستكون تحسيناً على أي انجاز كان بإمكان المؤلف أن يصل إليه في وقت فراغه، وستكون متاحة دون شكّ. وحالياً سأعرض على القارئ خريطة مبدئية توضح المواضع التقريبية للأماكن المذكورة في المقالة.

أنا ممتن لقائد السرب سويت (S/Ldr. Sweet) لقيامه بعمل نسخة جيدة لها. كل ما استطعنا القيام به تم في ظهيرة يوم سبت وخلال أربعة أيام إجازة مُنحت بشكل خاص وبلطف من العميد روبرتس (D. Roberts). وانا ممتن كثيراً لتشجيع السير جون هول (Sir John Hathorn Hall) الحاكم السابق لعدن [بين الفترة من 24 أكتوبر 1940 إلى 1 يناير 1945]، والسيد شارلز إينج (Charles Inge)؛ وكذلك عـقّـال فُـقُـم والبريقة على المساعدة؛ وممتن لسائقي محمد طارش، وابن عمه الجوحَلَة، ومريم بنت محمد صالح سعيد الهِنَيدي؛ وللسيد كوينتز (M. Ch. Kuentz) والرائد إيفانز بريتشرد (Evans-Pritchard) ورايز (S. Rice) على تكرمهم بمطالعة المسودة وإجرائهم لعدة تصحيحات مهمة. وإلى الكابتن جيبون (Capt. Gibbon) والرقيب ديكنز (E. Dickens) على الصور الفوتوغرافية.

[3] [أبيات من قصيدة "ليبانتو" للشاعر الإنجليزي تشيسترتون (G. K. Chesterton) ترجمناها نظماً – المترجم].

برزخ
إلى راس عمران
جبل مُنتصر
جبل أخضر
جبل حسان
المشمر
الشيخ أبو حبان
عود المعجز
بير ناصر
شيخ المخارمة
شيخ بيلول
البُريقة
عرادية
بير حريقة
القَبيح
فُقُم
الشيخ ### محمد
بير جريقة
الشيخ سعد
حجر مكتوب
حجر وعود
الضربة
الصليل الكبير
الصليل الصغير
تعجيز
النقيلي
ولي الغدير
الجرف
الكُعبين

الجُوحَلَة مع البيرق

الخلفية الطبيعية:

يتكون ساحل محمية عدن الغربية من سهل رملي طويل، مفروش بالحصى ومسنود بالجبال، ومن الواضح أن البحر بدأ بالانحسار في الوقت الحالي. وهناك أشبه جزر بركانية ناحية الساحل على بُعدٍ بسيط، وترتبط بالبر الرئيس بواسطة برزخ رملي؛ أشهرها "عدن" و "عدن الصغرى"، ويضمان فيما بينهما ميناء عدن.

وتقع عدن على بركان هائل خامد وقد تشكلت مدينة عدن القديمة في فوهته [ونسميها كريتر]. ولكن عدن الصغرى أكثر تعقيداً، فهي مقسمة تقريباً بسهل رملي يمر خلال أقدم فوهة، غالباً أقدم بكثير من عدن، وفي منتصفه يقع "الجبل الأخضر". وفي الشرق يقع "جبل إحسان" وهو مخروط لا يمكن تسلقه تقريباً، و"جبل مُزَلقُم" (من كلمة "**مُـزَلـقَـه**"، أي زَلِـق، أو "**مُـذَلـقَـه**" مدبب) في جهة الغرب من الواضح أنه فوهة أحدث بكثير [من الفوهات الأخرى]. الجزء الغربي أكبر بكثير من الجزء الشرقي، وهو الجزء الذي يربط البرزخ بالبر الرئيس. والمكان حالياً قاحل بالكامل تقريباً، وليس فيه بعض الأشواك، رغم ما يُقال عن خضرة المكان بالأشجار حينما وصله الإنسان، قبل أن تختفي جميعها نتيجة التحطيب.

يتمركز السكان في منطقتين هما البُريقَة، أقصى ناحية الشرق، وفُـقُـم في الطرف الغربي. أما الآبار فهي "بير حريقة" في فقم و"بير ناصر" في البريقة التي يخرج منها ماء كدر يسبب الإسهال، ويعتمد الناس على مياه الشرب المنقولة بحراً. وهناك خزانان بناهما البريطانيون قبل حوالي 50 عاماً، لكنهما لا يساعدان كثيراً. ولا توجد منتجات طبيعية عدا الأسماك وأحياناً اللؤلؤ وأحجار البناء.

الخلفية الأثرية:

عُثر على أدوات حَجَرية من العصر الحجري القديم، ولم تُعرف ماهيتها بعدُ. ويمتد عدد من الشواطئ البارزة على طول البرزخ والخليج بينه وبين عدن، وتُظهِر هذه الشواطئ علامات على استيطان كثيف، أو ربما طويل المدى؛ استيطان لأناس يعتاشون على جمع الكائنات البحرية[4]، ربما يعود إلى أواخر العصر الحجري الحديث أو النحاسي. بعضها يوجد على الرمل فوق الفوهة القديمة وفي الخلجان. ويوجد بالقرب من كل من فقم والبريقة بقايا مستوطنات إسلامية ومن فترات أبكر. وفي فقم نجد هيكلاً صخرياً لضريح، وهناك صخرة عليها نقش عربي قديم[5] (انظر أدناه). وهناك مستوطنة قديمة في البريقة واقعة تحت مخفر شرطة: وتحتوي الرواسب عدداً لا يحصى من الأصداف (**"قَهَاوي"**) وعدد من الحلزونات (**"دُوُل"**) بعمق قدمين على الأقل[6].

ويقال إنه عُثِر على سَيف وخنجر قبل عقدٍ من الزمان[7]. وهناك صفان من الدوائر الصغيرة على الهضبة الصغيرة أعلى البريقة، ولاحظنا نسقَين [جيولوجيين]، يحتوي الأقدم منهما رواسب تبلغ حوالي تسع بوصات من الرمل التي عصفت بها الرياح وتحتها شظايا عظام وأصداف، ويخلو النسق [الجيولوجي] الجديد من الرواسب سوى من بعض الأصداف على السطح؛ ويقال إنها تشكّلت خلال المعارك مع البدو قبل مئة عام.

---

[4] استعمل الكاتب مصطلح Strand-looper ليشير إلى نمط العيش على جَمْع الأحياء البحرية، وهو في الأصل مصطلح متعلق بقبائل الخويخوئيين Khoekhoe المنقرضين في جنوب غرب أفريقيا والذين عاشوا على هذا النحو. وتَرجمه شاكر سليم بـ"عدّاء الرمل" (قاموس الأنثروبولوجيا، ص 926). [المترجم].

[5] تعقيب ياسر علوان: "اسمها حجر المكتوب في فقم، ولم تعد موجودة حاليا، مازال كبار أهالي فقم يتذكرونه ويسمونه "حجر مكتوب" (أي الحجر المكتوب عليه) وأغلب من حدثنا قال إن كتابته غير مفهومة ويعتقدون أنها حميرية قديمة، وقد تعرض الحجر للعبث ثم اختفى مع توسِعة مرافِق المشروع السمكي ومصنع ثلج، مِن قِبل شركة دنماركية في منتصف الثمانينيات، والتي يتهمها البعض بسرقة الحجر أو نقله إلى راس عمران" [المترجم].

[6] في الأصل قَحوي Qaḥwi، و دُلى Dûla، واعتمدنا النطق المعاصر: قَهَاوي، دُوُل [المترجم].

[7] أفاد ياسر علوان بمعرفته شخص من فقم "يمتلك قطعتين حجرية تشبه الوعاء الصغير أعتقد لشرب الماء عثر عليهم على سفح جبل في فقم" [المترجم].

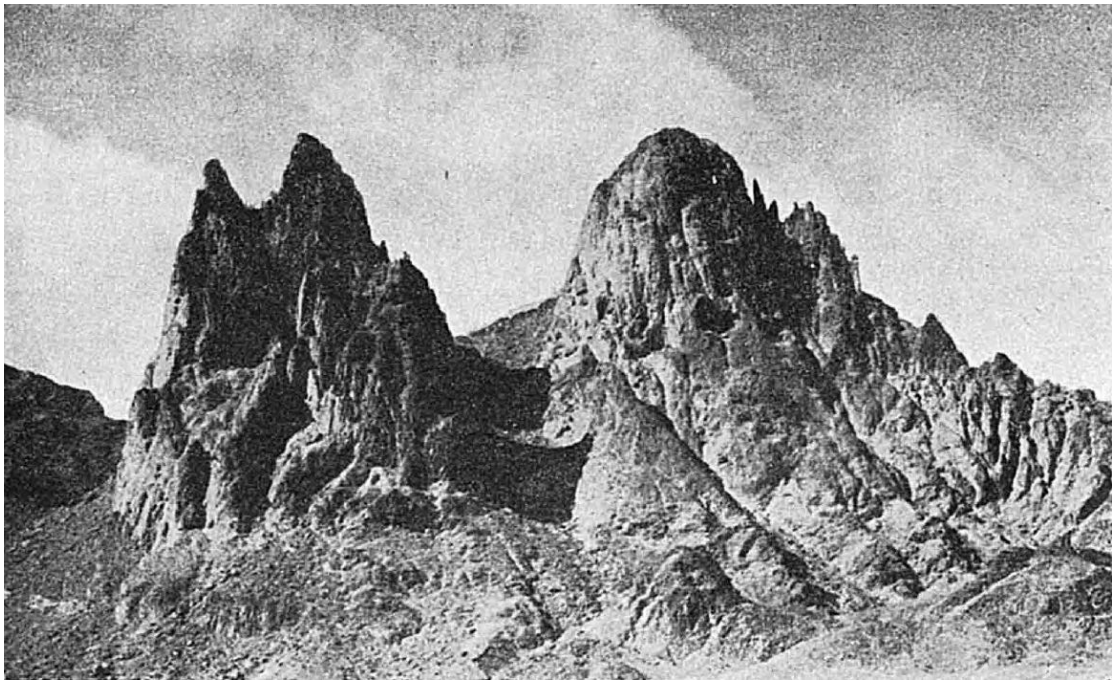

جبل مُـزَلـقُم

وهناك بقايا إسلامية في **"وادي الشَريف"** حول **قبر الشريف** المزعوم[8]. ولم تُجرَ أي حفريات [هناك]، ومن حسن الحظ أنها غير مشروعة، عدا ما قامت به مستوطنة عدن في المواقع التي تُجمَع فيها الأصداف بالشاطئ، التي يحرقونها للحصول على الكلس. وقد سُمي **"وادي امسيفة"**[9] بذلك بسبب المعارك مع البدو في الأزمنة القديمة، وكان يمثل مستوطنة ثالثة تدعى **"قرية مُناصِرَة"**. حيث قاد الشيخ المستوطنة بأكملها معه إلى شواطئ البحر الأحمر قرب "الشيخ سعيد"، لانعدام مصادر الرزق. ولم أستطع الحصول على أي تواريخ حول هذا النزوح الجماعي.

وتوجد مقبرة قديمة شمال الطريق من فقم إلى البريقة، على تل قريب حيث كان الطريق مرصوفاً. والقبور مميزة بشواهد حجرية وأحجار بيضاوية خشنة وقد تكون إسلامية. وقد هُجرت المقبرة على أي حال منذ زمن بعيد.

[8] أفاد ياسر علوان أن القبر ما يزال موجود، في خليج صغير جدا جنوب فقم على بعد 300 متر تقريباً [المترجم]
[9] في الأصل وادي مَسيفي، والتصويب من ياسر علوان [المترجم].

الناس

الناس هنا مختلفون تماماً عن بدو المرتفعات. فهم متوسطو القامات، جيدو البنيات، مستديرو الوجوه، أنوفهم مفلطحة قليلاً وشفاههم مقلوبة بعض الشيء (لم تؤخذ أي قياسات). وهم ذوو بشرة داكنة، بشعر مموج ومجعد. ويوجد "**حجور**" في كل قرية، ولعل هذا الصنف [البشري] المميز نتاج اختلاط [سلالات]، لكنه أيضا قد يكون مشتقاً من عرق زنجي متوطّن أو سلالة أسترالية بدائية. وينتمي معظمهم إلى فئة "**رعيّة**" القبائل الأكبر في المناطق الداخلية، وبالتالي فهم من سلالة وافدة قديماً[10].

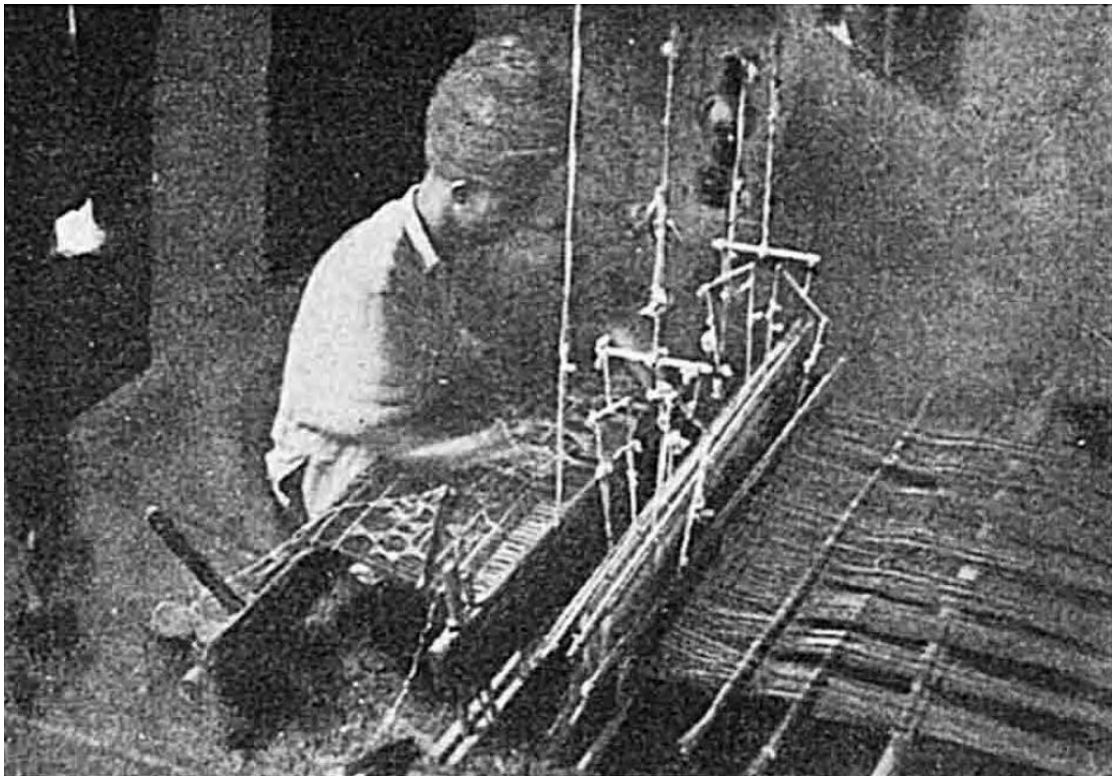

علي شُوْعِيَة يحوك الحرير في لَحْج

[10] انظر الحاشية 12 (أدناه).

الثقافة المادية

أهم ما في هذا الموضوع هو وجود ثقافة محددة للغاية، والتي على الرغم من قربها من "الحضارة" فإن [ثقافتهم] لم تُفقَد. فهم يصنعون بأنفسهم شباك الصيد الخاصة بهم وقواربهم ما عدا الزوارق المنقورة[11] التي يحصلون عليها من الهند، وينسجون الحصير الخاص بهم ويصنعون السلال القوية والعمليّة التي تقيهم النمل والصراصير، والمصنوعة بألوان طبيعية والمزينة باللونين الأحمر والأخضر، وهي تشابه تلك المصنوعة في المملكة القديمة من مصر العليا (G. Brunton, *Mustagedda*)[12]. ويبنون منازلهم من الخشب بنقش شبكي يمتاز بأنماط الشمس المشرقة، والخطوط المتقطعة، والألماسة المركزية والنمط الذي يشبه العلم البريطاني الاتحادي [الذي يتكون عن 4 خطوط تتقاطع في المنتصف] ويطلونها بألوان زاهية.

وملابسهم غالباً من مواد منسوجة في "لَحْج"، أو مطبوعة في "الشيخ عُثمان"، على الرغم من استخدام بعض المواد الهندية المستوردة. معظم الصيادين لديهم عمامة من الحرير مهما كانوا فقراء، رغم أن تكلفة هذه العمامة من 60 إلى 90 رُبّيّة في زمن الحرب. ولدى الفتيات رغم فقرهن عقود بخرز ذهبية ذات أنماط محلية (غالباً من [نمط] البطيخة المطوقةcollared melons) أو خُزامة من خيوط الذهب مرصعة باللؤلؤ، أو أقراط تشبه التي في بومبي؛ أما الفخّار فمصنوع في لحج أو الشيخ عثمان.

ويبدو أن جزءاً من هذه الثقافة من العصور القديمة، بينما تبدو الأجزاء الأخرى تراكمات من فترات مختلفة، وربما لم تتغير طريقة صناعة السلال والحصير منذ العصر الحجري الحديث، ويمكن افتراض الأمر ذاته بشأن صناعة الفخار. والأواني المصنوعة فوق عجلات [تبدو] رومانية ذات أنماط مطلية، كما كان شائعاً في مصر حوالي القرن السادس عشر الميلادي، وتبدو العناصر الأخرى من أصول مختلفة. لقد تعلموا صناعة الشِباك منذ حوالي مئة عام، وتعلموا كيفية صناعة الأكواخ الخشبية من أهالي عدن. للبريقة اليوم أيضا مساهمتها [الحضارية]، ونظراً لتجارتها بالقوارب، فهي مزودة بشكل أفضل من أي مكان آخر في عدن بأعواد الكبريت، والسجائر الأمريكية، والصابون الفاخر، وما إلى ذلك، وفيها محلات لجميع أنواع المنتجات الأجنبية. ونرى على الجدران صوراً معلقة للملك والملكة وآلهة هندوسية ونجوم السينما المصرية. وبالنظر إلى هذا كله فإنها [بحق] ثقافة متكاملة ومميزة.

---

[11] نوع من القوارب البدائية، يُنحت جذع شجرة واحدة فيصبح قارباً [المترجم]

[12] انظر Corrigenda and Addenda, p. 223.

وبصرف النظر عن بيع السلال والأصداف العرضي للزوار، فإن الـ 350 نسمة التي في فقم يعتمدون كلياً على الصيد لكسب الرزق، بل أن في البريقة تجارة وتهريباً بقوارب البومبوت[13]، حيث يعيش بها ضعف عدد السكان تقريباً.

[13] البومبوت Bumboat هو قارب صغير يستخدم لإمداد السفن الراسية بعيداً عن الشاطئ [المترجم].

الحياة الاجتماعية

وجود القرى ضمن المستعمرة، يجعل من الحكومة البريطانية حاكماً حصرياً لها. وقد كان ازدهارها المادي يعتمد سابقاً على مستوطنة عدن بشكل أساسي، ولكن الآن - ولصالحهم - فإنهم تحت [رعاية] حكومة عدن مباشرة. لقد أنقذهم موقعهم من التدخل المستبد وسوء إدارة الحُكّام المحليين، في حين إن الإهمال الذي عانوا منه دفعهم لتطوير أساليب العيش الملائمة، توفيقاً بين أسلوب الحياة القَبَلية القديم والمشاريع الشخصية الحديثة. وقد أصلحوا خزانات البريقة بجهود مجتمعية، ويقضي والعُرف بينهم في فقم -حيث ينتمون لنفس القبيلة- أن يسمحوا لأي فرد في القرية بأخذ حاجته من السمك من أي صيد، ويتقاسمون باقي الصيد مناصفة بين أصحاب القوارب والصيادين[14].

وقد وافقوا على مقترح الحكومة بأن تستورد الأسمنت والأدوات اللازمة لخزان المياه، دون أي عائق أو مناقشة، كما يحدث مثالياً في أي اتفاق عملي طبيعي وبسيط، وذلك إلى جانب بناة مهرة [تحلبهم الحكومة]، بينما يوفّر القرويون الحجارة والعمالة الأخرى.

جبل إحسان مع قرية البريقة على الكثيب أدناه

عندما يرى أهالي فقم شخصاً قادماً من جهة البريقة أثناء الجو الحار فإنهم يرسلون أطفالهم حفاة لكي يستقبلوا القادم بالماء. يدير **"العقّال"** (الزعماء) شؤون القرى، واحد في فقم وآخران في البريقة، واحدٌ للصيد والآخر للقرية. واليوم تَدفع الحكومة لكل عاقل حوالي 15 [رُبّية] في الشهر،

[14] تعقيب ياسر علوان: "كان هذا سائد الى وقت قريب حتى التسعينيات يقوم صاحب القارب بتوزيع السمك مجانا لكل شخص يمر بقربه أو جيرانه ومن كان متواجد بالساحل حينها، ويسميه خصار [=إدام] وما تبقى يُباع" [المترجم].

ولكن هذا الإجراء حديث نسبياً، ولطالما أدار العقّال شؤون القرية بأقل مساعدة حكومية منذ أن تم ضمّ المكان [للمستعمرة].

وعلى الرغم من غَلَبة الطابع الإسلامي إلا أن مظهر الناس مختلف تماماً عن مظهر سكّان المناطق الداخلية. وكما هو مأمول، فإن بقايا الوثنية قوية للغاية، رغم اندماجهم مع الإسلام، وثمة مساجد صغيرة في كل قرية وكذا مدارس لتعليم قرآن.

إن التعامل مع المرأة في فقم أكثر تحرراً وتسامحاً من أماكن أخرى، فهنّ لا يرتدين البرقع ويتحدثن معك بحريّة تامة، بل ويرتدين ملابس أخفّ مما ترتديه النساء الأوروبيات، عدا غطاء الرأس، حيث يرتدين ثوباً شفافاً مع قطعة قماش إضافية مربوطة حول الخصر من الخارج[15]. وترتدي الفتيات اليافعات مثل الأولاد، تنورة فقط، بينما تردي الفتيات الصغيرات حزاماً ومئزراً من الأشرطة الجلدية، مزينة بالقواقع وغيرها من التمائم، أما الأولاد الصغار فعراة. والجميع حتى النساء، يعيشون بين الماء معظم الوقت، وتسبح النساء بملابسهن، في النهار على الأقل. وهم نظيفون نسبياً ولديهم القليل من الطفيليات البشرية.

ظلت البريقة كما هي حتى قدم إليها **"فقي"**[16] (بالفصحى: **فقيه**) وأخبرهم أن عاداتهم فاسدة، ومنذ ذلك الحين امتثلوا للتعاليم الإسلامية. والتأثير الخارجي أقوى [في البريقة] من فقم كما رأينا في وصف الثقافة المادية. تُنقش العروس في حفلات الزفاف بتصاميم سوداء على وجهها ورقبتها والساعدين وأسفل الساقين[17]. وتتكون تصاميم الساق والذراع من خطوط موازية للأطراف مرتبطة بدوائر وتعطي انطباعاً بوجود جوارب وقفازات نسائية. تتضمن الاحتفالية غالباً رقصاً قد يستمر من أربع إلى ثمانية أيام. ويدفع العريس لوالديّ العروس حوالي 200 رُبّية. (16 جنيه استرلينياً) وينفقون ضعف ذلك في زينتها وملابسها. وقد كان الرجال والنساء في السابق يرقصون في القرية معاً في حفلات الزفاف، ولكن **"الفقي"** (الفقيه) أخبرهم أن ذلك فاسد ولذلك فقد أقلعوا عنه الآن، وبحسب الراوي فإنهم يرقصون بشكل منفصل. (أشكُ في ذلك، فأنا أعلم أنهم في فقم ما يزالون يرقصون معاً). إذا كانت الفتاة بعمر 16 عاماً فما فوق فإنها تنتقل إلى بيت زوجها، ولكن إذا كانت أقل من ذلك السن (يتزوجون أحياناً بعمر 9 و 10) فإنها تبقى عند أمها حتى تكبر. يسمى هذا التقليد **"توريِه"** (turîh)، والتزاوج المختلط بين القرى شائع، ولكن مع ذلك فإن الأبناء يُنسبون إلى قبائل آبائهم. ليس هناك احتفال معين عند ولادة الطفل، ولكن بعد سبعة أيام إذا كان صبياً يُدعى الناس

---

[15] تعقيب ياسر علوان: "تسمى الحِشِرة وهي فوطة رجالية تلبسها النساء من الخصر الى الأسفل فوق الثوب من الخارج" [المترجم].

[16] ياسر علوان: "الفقيه ناصر.. كما اعتقد" [المترجم].

[17] تُدعى النقشات "خِضاب" والطلاء مصنوع من "العَفْص" وهو مكسّرات مقطَّرة. [المُراجعون للأصل].

لشرب القهوة ويُذبح خروف. وقبل الذبح يمرر الأب الحيوان سبع مرات حول رأس الطفل ويضع بقعة من **الصُبْر** و**المُـرّ** على جبينه وطرف أنفه وذقنه، ويصحب ذلك ختان للصبي. والفتيات كذلك يتم ختانهن لكن دون احتفال. هذا بحسب راوٍ واحد فقط، ويبدو أن العام السابع [من حياة الطفل] هو العام المعتاد للختان.

وعندما يموت أحدهم فإنه يُغسل ويُحشى فمه وأنفه وأذناه بالقطن. ويُربط شعره في هيئة عقدة ويُلف جسده بالأبيض. يوضع الجسد على الجانب الأيسر مثنياً قليلاً، واليد اليسرى تحت الرأس والوجه باتجاه مكة. وللقبر لَحْد. (قيل لي أن الإنجليز يُدفَنون مع سيف أو مسدس وحفنة من الذهب. وعلّق أحد الأهالي ساخراً "بربك هل يعتقدون بوجود خضروات تباع هناك أم ماذا؟"). وبعدما يُغسَل الجسد، لا يُسمَح للنساء برؤية الجنازة، وإلا ستصبح "**نَجِس**" حتى تموت. لذلك لا تتبع النساء الجنائز[18].

إذا أصابتك "**فَـجـعة**"[19] (هَلَع يطلع فيه قلبك إلى فمك) عندها يجري تثبيتك في حين يكويك أحدهم بمكواة ساخنة على بطنك، فوق سرتك، تاركين ندبة عليها بطول 2 في عرض 0,5 بوصة. أما إذا كنت بمفردك عند إصابتك بالهلع، فإنك تذهب إلى آخرين بعد ذلك أو بعد 5 أيام لكي يجروا ذلك عليك؛ لا عيب في ذلك، وللناس هناك الكثير من الندوب بعضها فوق بعض. وإذا تقوّس [ظهر] أحد الشباب مثل الشيبان، يتحسس أحدهم فقرات ظهره حتى يقع على التي تؤلمه فيباشرها بمكواة حمراء ساخنة؛ وإذا لم ينجح هذا الإجراء من المرة الأولى تعاد الكرة ثانية. ويسمى هذا التقوّس "**حَـلَّـس**" ويسمى الحَرْق **كَـيّ**.

وفي حالة مرض طفل، يُربط خيط أو شريط جلدي مكتوبة عليه تعويذة تحفظ في محفظة جلدية[20] وأحياناً في قوقعة، ولكنني أظن أن القوقعة للفتيات فقط. وفي حالة تعرض أحدهم للصداع، يُسخن قضيب معدني وعندما يحمَرّ من السخونة يقف المريض عليه، وهذا يجعله يقفز مرتين أو ثلاث [ألماً] وربما يمرض ثم يُشفى المريض من الصداع. وقد نفذت فتاة بعمر 11 عاماً ذلك الإجراء [أمامي] لمجرد إثبات فعاليته! وزعم بعض الأفراد أن لديهم المقدرة على إزالة الصداع من خلال تدليك الرأس باستعمال كلتا اليدين من الخلف إلى الأمام؛ ليزيحوا الألم إلى نقطة ما تقع بين العينين ثم يتخلصون منه[21]. (أعرفُ مستبصر أسكتلندي من أصدقائي فعل ذلك في لندن، حوالي عام

---

[18] في المحمية ترش النساء الماء بعد الجنازة، في حين ينظرن إلى الاتجاه الآخر. [المُراجعون للأصل].

[19] في الأصل "فجأة" والتصويب من ياسر علوان [المترجم].

[20] توضع النقود أحياناً في المحفظة ويتم تخصيصها للوَلي، حيث تقدم إليه إذا شُفي الطفل. ولحماية الطفل من الجن أو العين تصنع تعويذة قوية بواسطة عظمة خنزير تُخاط في قطعة قماش ثم قطعة جِلد وتُربَط فوق الكوع. يبدو أن هذا الفعل يؤكد نظرية تقديس الخنزير في الأصل. [المُراجعون للأصل].

[21] ياسر علوان: "هذه طريقة علاج صداع الشقيقة ويفضِل المعالِج إجراءها بعد الغروب مباشرة" [المترجم].

1918)[22]. ونجد وشماً باللون الأزرق يعلو كل من اللثة والشفة السفلى للنساء بمزيج من الحليب وسوادُ المِصباح، ويقال إن ذلك لمنع تساقط الأسنان. عادة تكون التصاميم [الموشومة] مكونة من خطوط متقاطعة مرسومة على الأذرع، بنمط يبلغ طوله 3 بوصات وبعرض بوصتين. ويسمى الوشم محلياً "**رَقْم**". ووجوه الفتيات والنساء ملطخة بكثافة بمادة صفراء تسمى "**حِرض**"[23]، (انظر لاندبرج ص 406).

ولم أشاهد من بين ألعاب الأطفال على الأرض سوى الحلقات الواسعة (hoop) والكردحة (bowling) والحِجلَة (hopscotch) وتسمى هنا **طاو** (*ṭaw*) أو **توف** (*ṭuf*). الأرضية هنا مختلفة قليلاً عن أرضنا. يلعبون في الماء كالأسماك، يمكن للفتيات والصبيان السباحة فوق وتحت الماء بمجرد اتقانهم للمشي. وغالباً ما تعاني الأمهات صعوبة لإبعاد الأطفال خارج البحر. أما الألعاب الجماعية فيشارك فيها أربعة أفراد، اثنان على أكتاف اثنين آخرَين، ويحاول كلا الزوجين إزاحة الراكب الآخر.

[22] أحياناً تمتص نساء "الأخدام" سطح البطن عندما يكون هناك ألم ويستخرجن الدم. [المُراجعون للأصل].
[23] هكذا في الأصل. وهو نطق قديم يبدو أنه انقرض، حيث ذكر لاندبرج وجود النطقين **تِهَرِّد** إلى جانب **تِحَرِّض!** (والتعجّب من لاندبرج). [المترجم].

التاريخ الشعبي:

عندما جاء أسلاف المقيمين حالياً لم يكن هناك أحد في عدن الصغرى سوى بعض البدو المتجولين، ولكن المنطقة كانت مغطاة بأشجار كثيفة "إلى درجة يتعذر معها المرور من بينها، وكانت الغزلان وفيرة إلى درجة أن بإمكانك الإمساك بها بيديك". وكانت الآبار تزودهم بالمياه العذبة (خاصة بئر ناصر) وكان هناك "**إبل**" أو "**بَقَر**" و"**جَمَال**" و"**كَباش**". وقد سكن في البريقة أشخاص جاءوا من منطقة المُكَلّا وبير أحمد:

صالح سعيد بَيلول ودالي الهِنَيدي
حاج علي أبو عبود الرشيدي
عبدالله بن عبود السُباعي
الجَبَيلي الجَبَيلي
هادي الحاج المُصَفرَة[24]

عندما استقروا في البريقة، لم يكن فيها سوى 15 منزلاً تقريباً؛ حدث كل ذلك في زمن أجداد الذين يعيشون اليوم، تقريباً بين 80 - 100 عام مضت. السُباعي وباحَسَن[25] جاءوا في الأصل من "الديس"، قرب المكلا. و"المصافرة" جاء من وادي معدان[26] قرب اليمن [الشمالي]، وقد بَلَغتْهم مؤخراً رسالة من قبائلهم لكي يعودوا إلى منازلهم حيث خُصِصَت لهم إحدى الأراضي. [ولكنهم] لن يذهبوا.

كانت عدن الصغرى تحت حكم حيدرة المهدي (1833-1850) ثم لاحقاً تحت حكم ابنه زعيم قبيلة العقربي في بير أحمد، وكان الناس يدفعون لهم الضرائب؛ رُبّية في الشهر تؤخذ من كل صاحب مركب شراعي **والنَـاخُـوذَة**[27]. ومع ذلك فإنهم لم يكونوا محميين، فقد جاء البدو (أو كما في رواية أخرى: حميريين!) واستقروا على الهضاب العالية فوقهم وأطلقوا النار عليهم بالبنادق. وقد كانت هذه البنادق سيئة للغاية لدرجة أن المقاتلين يتركونها عادة ويتقاتلون بالحجارة.

---

[24] هكذا في الأصل (المُصَفرَه Muṣafrah)، وتركناه كما هو على طول المقال، أما النطق اليوم فهو "المَصْـفَـري" حسب إفادة ياسر علوان [المترجم].

[25] هكذا في الأصل، ويصوّبه ياسر علوان "السُباعي البحسني" [المترجم].

[26] هكذا في الأصل، ويصوّبه ياسر علوان: "معادن" [المترجم].

[27] "ناخوذة" وجمعها "نواخذة"، مشتقة من تركيب هندي فارسي. (سيد سليمان الندوي، الملاحة عند العرب، المركز القومي للترجمة، 2013، ص 28) ونبّه ياسر علوان إلى نطقها اليوم هو "ناخوظة" [المترجم].

مدرسة القرية في فُقُم

مؤخراً طلبَ شيخ [قبيلة] العقربي (المذكور آنفاً) ضريبة أخرى قدرها ريال واحد في الشهر على كل امرأة حملت حجراً إلى المراكب الشراعية، فاحتجَّ الشعب على حكومة بريطانيا التي اشترت عدن الصغرى (حدث ذلك عام 1869 بتحريض من حكومة الاستعمار الوطنية).و في البداية كان من الضروري إرسال جنود مرافقين مع أشخاص من عدن الصغرى إلى الشيخ عثمان. (لم يكن الحال كذلك إلى عام 1888 حيث ابتيع الشريط الساحلي الرابط بين عدن وعدن الصغرى). وأفاد أحد المسنين، يدّعي أن عمره 121 عاماً، أن السباعي والبحسني[28] من الديس قرب المكلا، كانوا أول من استقر في "حَسة الماء"[29] (مكان الماء، في العربية الفصحى "حاسي" بمعنى نبع ماء) وهو اسم البريقة الأصلي، وأن القبائل الأخرى جاءت لاحقاً. وهذا ممكن جداً لأن الصيادين يتحركون بشكل ملحوظ على طول الساحل، والبدو يلحّون عليهم لدفع ضريبة "حماية" على

[28] في الأصل "باحسن" [المترجم].

[29] هكذا في الأصل حَسة الماء Ḥast-al-Mâ’، ويصوّبه ياسر علوان "خيسة الماء"، مطابقاً إياه بالمنطقة المعروفة اليوم باسم "الخَيسة" والواقعة في ذات المنطقة الموصوفة هنا (بين عدن وعدن الصغرى)، ولا يتضح ما إن كان "حَسة الماء" نطق قديم أم خطأ طباعي [المترجم].

الأسماك، بحيث يضطر الصيادون غالباً إلى الانتقال. ولأنهم يخافون من البحر فهذا الأمر لا يقلقهم؛ لكن هناك جدلاً كبيراً حول أولوية هذين الأمرين. الرشيدي والهِنَيدي أيضاً يدّعون ذلك، ومن المحتمل أن كلتا القبيلتين وكذلك المَقوَري[30] قد تجوّلوا هناك باعتبارهم بدواً، عندما كانوا رعية العقربي؛ وبالتأكيد كانت [قبيلة] الرشيدي ترعى ضريح "الوَلي"[31]. وقد أجمع الرواة على عذوبة مياه بير ناصر والأشجار والغزلان في شبه الجزيرة هذه في أول سُكناها.

(أدلى الرجل المسن بتصريح أو تصريحين مثيرين للاهتمام ضمن رواياته غير الدقيقة عن الماضي. فذكر أنه عندما جاء البريطانيون، كانت جميع مياه عدن تُجلب بواسطة مركب شراعي من الحسوة إلى "الخزانات" والتي سُدَّت بالمزابل، بحيث أن الماء لا يلبث إلا قليلاً قبل أن ينقع خلالها. وأكّدَ على غياب أي تجهيزات لبناء مراكب شراعية في المعلا، وأن رجلاً واحداً فقط يدعى "سعدي" تقريباً، كان يعيش هناك، في كريتر (عدن القديمة) والمكونة من حوالي 11 أو 12 بيت فقط حول مسجد العيدروس، وأن قلعة صيرة وأسوار كريتر قد بناها البريطانيون).

[30] في الأصل: المقواري، والتصويب إلى "المَقوَري" بحسب ياسر علوان، الذي أضاف معلقاً: "المقوري وجمعهم المقاورة نسبة إلى قرو" [المترجم].

[31] يستعمل الكاتب لفظ "والي" Wâli على طول المقالة، ويقصد بها "الوَلي" في نطق جميع لهجات اليمن. ولا يتضح ما إن كان الكاتب بهذا الرسم يشير إلى نطق قديم أم مجرد طريقة "خاطئة" في الكتابة، وأظن أنه يشير إلى مد زائد قليلاً في حركة الفَتح على حرف الواو، حيث سمعت هذا النطق على لسان منصبة الولي حسن البحر في لحج، وقد اعتمدت تعريب الكلمة "وَلي" في جميع المواضع [المترجم]

أما تاريخ فُقُم الحديث فهو بسيط، فأهلها جميعهم من قبيلة واحدة، المَصَافرة، ولكن ثمة أسطورة مثيرة للاهتمام حول تاريخها في قديم الزمان قبل الاستيطان الحالي. في البدء، في زمن حِميَر، لم يَعرف أهل فقم الحلال والحرام، وكانوا يجامعون أمهاتهم وأخواتهم كما يشاءون. ثم جاء رجل صالح معه سيف (إذ أن ذلك كان قبل ظهور البارود) واكتشفَ هذه الحال المروّعة، فانتظر الفرصة السانحة، حيث كان بمفرده، وأخيراً، فإن لعبة **"صَرْي"** منحته ذلك (صَرْي ربما من صارَ، يصيرُ). وهذه اللعبة، من خلال الشرح الذي لم أفهمه جيداً[32]، يبدو أنها تشبه لعبة ليمون وبرتقال "Oranges and Lemons"[33] الشعبية في بريطانيا. وكما فهمتها، يكون هناك جماعة داخل المنزل وأخرى خارجه، فيدخل عليهم شخص من الخارج، فإذا صفعَ هذا الشخص أحدهم فإنه يخرج معه إلى الخارج، أما إذا تعرض الشخص القادم لصفعةِ شخصٍ في الداخل، فإنه ينضم إليه. وينادي الفريق الخاسر قائلاً "أين فلان؟" فيجيب الفريق الفائز "ميت". وخلال هذه اللعبة يُخرِج الرجل الصالح الآخرين واحداً تلو الآخر إلى خارج المنزل، إما ليقتلهم أو ليسجنهم. ولذلك كانت ردوده صادقة عادةً. كان هناك الكثير من القتلى لدرجة أنهم دُفنوا في قبرٍ جماعي، والهضبة التي نشاهدها اليوم هي ذلك القبر. وقد نقشَ هذا الرجل الصالح أعماله على صخرة كبيرة في الطرف الشرقي للخليج.

---

[32] صَرْي. الاشتقاق المقترح صحيح. وتُلعَب في الليل عادة. تكون المجموعة الداخلية (ولنُطلِق عليها الرمز أ) في المنزل أو في حدود معينة ببساطة. وهناك أيضاً حدود خارجية للمجموعة الخارجية (ولنُطلِق عليها الرمز ب). يقوم أحد أفراد ب بالدخول ولمس أحد أفراد أ؛ ثم ينطلق أفراد أ إلى الخارج محاولين لمس أحد أفراد ب أو أكبر عدد من ب ضمن الحدود الخارجية. ويدعى الممسوك "ميت". أما لو عجزوا عن لمس أي أحد من ب، فإن الشخص [المختطف] من أ هو الميت. وعندما لا يتبقى سوى فرد واحد من أ واستطاعَ أن يمسك أحد أفراد ب، فلا يطلِق عليه ميت فحسب، بل إنه يستطيع استعادة أحد رِفاقه من الموت مرة أخرى لإطالة اللعبة. [المُراجعون للأصل].

[33] الترجمة الحرفية "برتقال وليمون" هل لها -أو للتسمية على الأقل- علاقة بلعبة "ليم ليمون" الشعبية في اليمن؟ "ليم" في اللهجة تعني "برتقال" (وتعني ليمون في نفس الوقت)، ولعبة ليم ليمون هي جزء من لعبة "التوف" المذكورة في هذه المقالة. [المترجم].

لقطة مقربة للنصف العلوي من حجر مكتوب في فقم

وقد استنسختُ وصورتُ هذا النقش وراجعه لي السيد "وايت" (M. Wiet) مشكوراً، وكذلك البروفسور آلان ويس (Alan Wace) وعبد العزيز أفندي مرزوق، واقترحوا القراءة التالية:

1. لا [ا]له الا الله محمد [رسو]ل الله
2. اللهم اغفر لمحمد بن عمرو
3. بن الخليل الرحا (أو الرخا، أو الرجا).....
4. ..... محمد (؟) محمد

وبالتالي فالحجر مجرد شاهد قبر عادي، على الرغم من إنكار الأهالي لوجود قبر هناك، وإنما يصفون الحجر بأنه "مقدّس"[34]. ربما كان الشاهد يُحيي ذكرى الرجل الصالح الذي ارتكب المذبحة، ولكن الأرجح ألّا علاقة تربطه بالحادثة وإنما أُنتحلت له لاحقاً، وهو أمر شائع في الفولكلور، وخاصة في شبه الجزيرة العربية. ومن ذلك الحين، تضرر النقش قليلاً بسبب الكشّافة في عدن، حيث كُتبت عليه حروف إضافية. ومع ذلك ربما يستطيع المستعربون قراءته من الصخرة مباشرة والوصول إلى القراءة أعلاه.

[34] تحدث الشيخ البيحاني عن تقديس الأحجار في حضرموت وعدن فقال **"وأنا أعرف حجراً بتريم يزعمون أن الفقيه المقدم كان يضع عليها نعاله، فلا يكاد يجوز بها أحد من أهل تلك البلدة المملوءة بالعلماء والوعاظ إلا مرّغ خده عليها طلباً للفائدة ورغبة في البركة. وكانت عندنا في بلدة الشيخ عثمان أخرى تُكنى بأم عقيل، يكسرون عليها البيض ويقربون لها أنواعاً من القرابين، وقد أزالها بعض الاخوان وأخفاها"** هداية المريد إلى سبيل الحق والتوحيد، أحمد بن محمد بن عوض العبادي، بتعليقات محمد بن سالم بن حسين البيحاني، القاهرة: المطبعة السلفية، 1989 هـ، ص 14 [المترجم].

يعتقد الأهالي أن الدوائر الحجرية التي فوق التلال تعود إلى الحميريين، وبعضها بالفعل كذلك، لكن لا يبدو أن لديهم أي رواية شعبية عن الشواطئ العائدة إلى نفس الحقبة أو أقدم.

وقد روى عبدالله هادي الحاج[35]، ابن المستوطن الأصلي، والذي روى (إلى جانب آخرين) القصة المذكورة أعلاه، روى أيضاً القصة التالية:

"من زمن بعيد، عاش أهلنا في وادي معدان ثم انتقلوا إلى هنا إلى البريقة، عندما علمت بذلك، كان هناك حوالي 40 منزلاً، كانت جميعها خيام. وقَبل والدي لم يكن هناك سوى البدو في الجزيرة، وكان الصيد باستخدام الخطافات، وكان والدي أول من صنع الشباك وعلّم الآخرين كيفية استخدامها." (قد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لقبيلته فقط). "لاحقاً، وقع خلاف بين والدي وآخرين، فانتقل مع أربعة منازل أخرى إلى فقم، والآن انظر! لقد أصبحنا بلدة. قبل أن ننتقل كان حالنا أفضل بكثير عندما أخذ البريطانيون المكان من عبدالله حيدرة المهدي". (بحسب المصادر في البريقة فإن مستوطنة المصافري كانت في تعجيز[36] وليس البريقة.)

[35] تعقيب ياسر علوان: "عبدالله بهادي الحاج، أغلب أهل فقم يؤكدون إنه جدهم هو بهادي الحاج وهو أول من استوطن فقم" [المترجم].

[36] في الأصل Ṭaqaiz وصوّبها ياسر علوان "تعجيز" وحدد موقعها على الخريطة مطابقة للموقع المسمى Ṭaqaiz عند الكاتب [المترجم].

الدين والخرافة

للدين والخرافة دور كبير في حياة الناس، ففي البريقة يوجد أربعة أماكن للصلاة ومسجدان. قد ولا يكون من الإنصاف القول إن الخرافة تحتل مكانة أعلى، لكن المؤكد أنها أقرب إلى فهم العامة وتحتل مكانة أكثر حميمية لديهم. وهذا بالتحديد هو ما تُعنى به ملاحظاتنا.

وللأسف لم يُتَح لي سوى القليل من الوقت للتحقق من القصص والروايات المختلفة، وإذا استطاع أي شخص غيري دراسة الأمر بشكل أفضل، لربما وجد الكثير مما يجب تصويبه في التفاصيل التي عندي وفي تعليقاتي، والتي هي أولية بالتأكيد، ويجب أن يكون هناك دراسة في القريب العاجل، حيث إن الحرب قد قوضت الكثير من تلك الممارسات القديمة. من الواجب عليّ إبداء مثل هذا التعليق، حيث ليس بحوزتي أي كتاب مرجعي، سوى كتاب روبرتسون سميث Kinship and Marriage والذي كان مفيداً للغاية.

المذهب الرسمي هو السني الشافعي، مرتبط بشدة بتقديس الأولياء، وكبير أولياء عدن الصغرى هو "ولي الغدير"[37] والذي بدوره أيضاً مرتبط باسترضاء وتقديس الجِنّ.

كل جني هو خادم للولي، الذي بدوره لديه العديد من "الشياطين" لخدمته أو خدمتها، ما عدا "**معجز**" (صانعة المعجزات) التي هي من طبقة فريدة و**الحَجَرة.** وكل جنيّ له حَجَر، عادة ما يكون كتلة مربعة كبيرة تشبه الله واللات في العصور الوثنية، والتي تستعمل بوصفها مذبحاً تُراقُ عليه القرابين أو توضع عليه، وتهُبّ رياح عذبة قوية من ناحية هذا الحجر. بعض الجن هُم (أو لهم) تلّ أو هضبة كاملة بجانبها المذبح. ويصعب فهم طبيعة علاقتهم بالحجر أو التلّ، لكنها ربما لا تكون أصعب من بعض نقاط العقيدة المسيحية. فالجن هي التلّ، والتلّ هو الحَجَرَة، ولكنها مستقلة عن كليهما، وربما تتجلى في أشكال عديدة. وقال لي أحدهم: "الاسم هو اسم الحجر، لأن معرفة الإنسان باسم الجن الحقيقي أمر يأتي من الله، والله وحده يعلم."

إن تقديس الجنّ في الأساس، وكما هو متوقع، متعلق بتوفير السمك للصيادين، بالإضافة إلى الطلبات الشخصية والتي بعضها جيد والآخر سيء. ونظراً إلى اتباع معظم الناس له [أي ولي الغدير] وبما أنه الأهم في شبه الجزيرة هذه، فسوف نبدأ بوصف هذا الولي أولاً من بين بقية الأرواح.

[37] ومن الأمثلة للتدليل على الدور الذي لعبه في حياتهم اليومية، هناك امرأة واجهت مشكلة في متجر بشأن سلعة السكَّر وفي غمرة صراخها كررت عبارة "الغدير هو الحكومة هنا".

ولي الغدير[38]

يقع قبر هذا الوليّ في الطرف المقابل من خليج البريقة. يحتوي المبنى المربع ذو القبة المقوسة على مصلى في الجهة الجنوبية وحُجْرَة صغيرة إلى الجنوب من ذلك. أما القبر نفسه فيحتوي على قبر الولي وابنه. الأول مغطى بالحرير وله ذلك الصندوق الخشبي المعتاد [القَفَص]. وتوجد في الطرف الشرقي فتحة يُرى من خلالها ما يبدو كتابوت حجري لا يوجد طريق إليه، وله فتحة مثل تلك الفتحة في الطرف الشمالي المهترئة من كثرة ما تمسّحت بها الأيدي.

ويعتبر الغبار الناعم جداً الذي يتجمّع بالداخل علاجاً للعديد من الأمراض، ولكنه لا يفيد إلا صاحب القلب الطاهر[39]. وبجانب الضريح هناك "بِركة الغدير"، حوض مائي له قبّة صغيرة يجري تزويدها بمياه الشرب والاغتسال من خلال القوارب الشراعية، وخاصة في وقت الزيارة، والتي تكون سنوياً بعد منتصف الصيف بقليل وتستمر لمدة يومين وليلتين. (آخرون قالوا إنها تكون دائماً في شهر شعبان). فهي تقام بحسب التقويم القمري.

---

[38] غالباً اسمه "قدير" بمعنى قوي، قادِر. لأن القاف والغين يتداخلان في هذه المنطقة.

[39] أشار توماس ستابليتون (Thomas Stapleton) إلى أن ضريح القديس Ceadda والمعجزات التي هناك قائلاً: "مكان الضريح مغطىً بتابوت خشبي، مصنوع مثل منزل صغير، وله فتحة في الجانب، حيث يضع الزائرون أيديهم لأخذ بعض التراب، الذي يضعونه في الماء ثم يسقونه للحيوانات والبشر المرضى، ليزول عنهم الكرب المرض ويستعيدون صحتهم المبتغاة." ويذكر الكتاب أوصافاً لعلاجات بتراب القبور المقدسة مواضع الشهداء وثياب القديسين الموتى ونُصُبِهِم الخشبية. يبدو أن هذا الاعتقاد واسع الانتشار وذو أصل قديم جداً. =
The Venerable BEDE, The Ecclesiastical History of the English People, Book IV, chap. m, Trans. Thomas stapleton, Ed. Phillip Hereford, London 1935, p. 196,

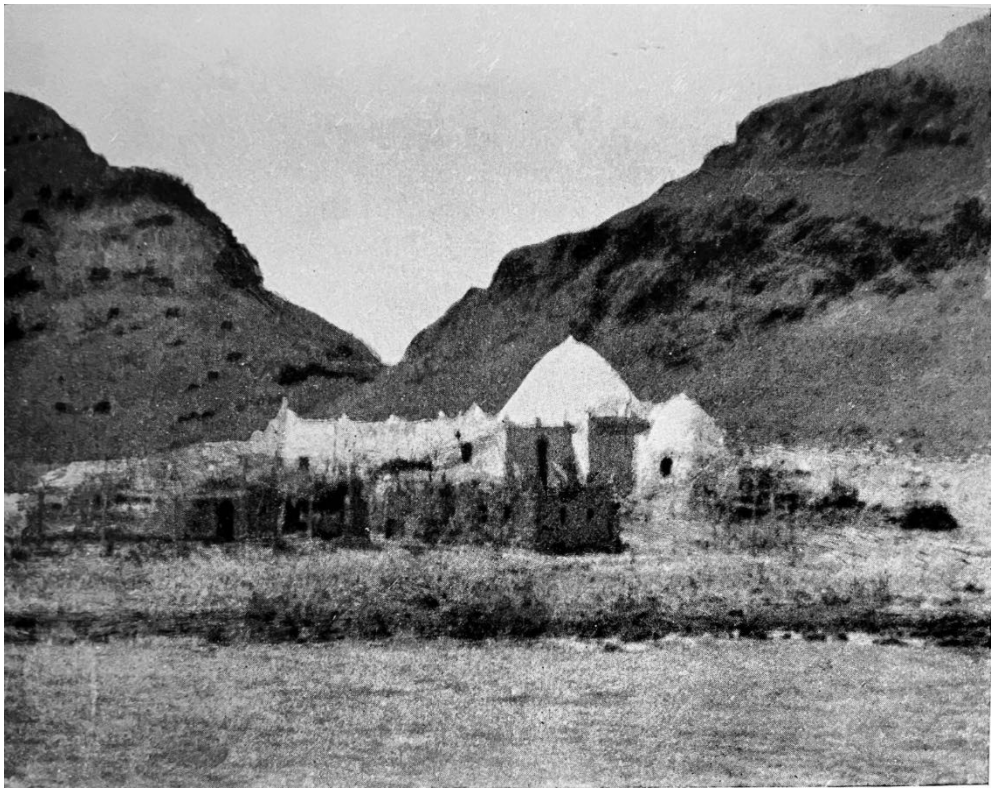

ضريح ولي الغدير

والمسؤول على المكان هو "المَنْصَب"، الذي كان حينها "عَبيد هادي علي" وقد تم جمع المعلومات التالية عن الولي نقلاً عنه. أما الاختلافات الأخرى فقد تفضل بها عوام سكّان البريقة.

شقيق المنصب (سالم بن هادي) هو أيضاً خادم للولي، وكذلك "فارس عبدهُ" و"شيخ سالم عَلِم" و"عوض عبدهُ شيخ". وجميعهم من قبيلة الرِشَيدَة المسؤولون على الولي. وقد قدم الرّشَيدَة قبل الاحتلال من بير أحمد للاعتناء بالضريح. ويتعيّن على المنصب دفع تكاليف جلب المياه للاحتفال وتقديم الطعام للفقراء وللفِرقة التي تقدم عروضها في الاحتفال. وبالمقابل، فإن على كل زائر أن يساهم بتقديم شيء ما. حيث يجلس شقيق المنصب أو ابنه في الضريح لتلقّي الهدايا. ويُسمح بدخول الرجال والنساء على حد سواء، ولم يعترض أحد على دخول المسيحيين. والسمة الرئيسة للاحتفال تتمثل بالموكب المصحوب بالرقص والعزف؛ والذي ينتهي بدخول الموكب إلى الضريح برفقة كل من يستطيع التزاحم للدخول. والراقصون يقال لهم "مجاذيب" (أي: المجذوبون). وكان الاسم الأصلي للولي "أحمد بن أحمد الزيلعي"[40] وكان موطنه "اللُحَيَّة"[41] شمال الحديدة.

في أحد الأيام، ذهب العيدروس[42] للحج على متن مركب شراعي، وعندما كان في طريق العودة من مكة إلى عدن توقف في "اللحيّة". ووجد في تلك البلدة حفاوة وكرماً في منزل أحمد الزيلعي الذي دعاه للدخول، وذبح كبشاً على شرفه وطلب من خادمه إعداد وجبة. فقال الخادم "ليس عندنا حطب" فأجاب الزيلعي "خذ حزمة من القش واثنها وأطبخ الوجبة"، فأخذ الخادم حزمة القش وثناها بقدميه، وبقدرة سيّده ارتفعت الحرارة من عند قدميه وتم طهي اللحم. مرّ العيدروس على المطبخ فرأى الكبش يُطبخ بلا شيء سوى الحرارة المتصاعدة من أقدام الخادم، فأدرك أنه في بيت وليٍّ حقيقي، لكنه لم يقل شيئاً عندما عاد إلى غرفة الضيافة. بعدما أكل الجميع معاً، استأذن العيدروس للذهاب ولمّا أذِنَ له طلب هديةَ وداعٍ من المضيّف. فرد عليه المضيّف: "ماذا لدي لأعطيك يا عيدروس العيدروس؟! ما أنا إلا بدوي فقير" فرد العيدروس: "اهدني ابنك أحمد". فوافق الشيخ الزيلعي على تسليم الولد.

---

[40] في الأصل "الزَعيلية"، ولعله خطأ، والمقصود "أحمد الزيلعي"، وصححنا جميع موارده من "الزعيلي" إلى "الزيلعي"، رغم أن فرانسين ستون ناقشت هذه الفقرة في مقالتها (Notes On The Ziyāra) وتركت الاسم كما هو (الزَعيلية) [المترجم].

[41] في الأصل لُـهَيَّـة، وفي موضع آخر "لُـهَيَـة" والمقصود مدينة اللـحـيّـة، الواقعة على مسافة 110 كم إلى الشمال من مدينة الحديدة، وفيها ميناء قديم ارتبط تاريخياً باصطياد اللؤلؤ [المترجم].

[42] عاش العيدروس في القرن الخامس عشر بحسب الرواية الأسطورية العدنية.

أخذ العيدروس الولد معه إلى عدن حيث ترعرع واشتد عوده في منزله وعندما أصبح كبيراً، أعطاه والده بالتبني قاربَ صيد (**هوري**[43]) واستقرَّ في جزيرة "صِيرَة" حيث اصطاد لغرض الاستهلاك الشخصي ولبيت العيدروس. وتزوّج امرأة (اسمها غير معروف) فحملت وانجبت له ولداً.

وفي أحد الأيام، جاء تاجر صُوري[44] من البصرة على متن مركبه الشراعي حاملاً شحنة من التمر باعها للعيدروس. توقف التاجر (مجهول الاسم أيضاً) في المعلّا لتفريغ حمولته، ثم سألَ العيدروس ثمن التمور لكي يعود إلى "صُور" لكن العيدروس لم يكن قد قبض مالاً من تجارته بعد، فطلب من التاجر الانتظار لفترة أطول قليلاً، لكن التاجر قال إنه يود الإبحار. وبعد الكثير من الاحتجاج وافق التاجر على الانتظار لفترة أطول بينما يجمع عيدروس المال، وترك التاجر المركب يرجع إلى صور بدونه.

في نهاية رمضان، وقبل العيد بيومين، حصل عيدروس على المال، ولكن التاجر كان ينتحب وقال: "ماذا عساي أن أفعل بالمال الآن؟ إنما كنت أبغيه لأقضي العيد مع أهلي حيث ينتظرونني كباقي الرجال"، فرد عليه عيدروس: "خذ مالك وان شاء الله سوف تلحق العيد عند أهلك". فتذمَّر التاجر بأن الأوان قد فات على اللحاق بالعيد، ولكن عيدروس أقنعه بأخذ المال، فوجده كاملاً. ثم قال له العيدروس "استعد للمغادرة، وفي [الساعة] الرابعة[45] بعد الظهر عُد إليّ". فنفذ التاجر ما طُلِبَ منه، ثم كتب له العيدروس ملاحظة صغيرة وطلب منه أن يأخذها إلى أحمد بن أحمد في جزيرة صيرة. ففعل التاجر ذلك، وعندما قرأ أحمد الملاحظة قال [للتاجر]: "يجب أن تكون عند أهلك لقضاء العيد".

فصليا المغرب معاً ثم توجها إلى هوري أحمد (زورق صيد له شراع) ولمّا رأى التاجر زورقاً صغيراً، خاف، لكن أحمد قال: "انطلق، ادخل، ضع صرّتكَ (التي بها المال) على ركبتك وأدخل رأسك فيها ولا تنظر للأعلى". فعلَ التاجرُ ما قيل له واختفى الزورق كلمح البصر إلى صور. غادرا عدن في السادسة مساء وكانوا في صور في السابعة. وبمجرد دخولهم المرفأ، رفع التاجر عينيه وتعرّفَ على منزله وعلى زورقه الشراعي وسُفن أصدقائه وقال: "هذه صور، أنا في موطني!". انطلقَ الهوري إلى الشاطئ وعاد التاجر إلى أحمد ودعاه إلى منزله، ولكن الشيخ أحمد

---

[43] [في الأصل "حوري" وهو خطأ طباعي – المترجم].

[44] تبلغ المسافة بين عدن وصور 1300 ميل. وأهل صور بحّارة عظماء وقراصنة. تجارة التمور من الخليج الفارسي ذات أهمية كبيرة لأهل عدن وكانت كذلك غالباً منذ أن تمكن السفن من عبور هذا الخط. [ورد ذكر شخص "صوري" في النقش الزبوري X.BSB 67 - المترجم]

[45] جميع الأوقات معطاة حسب التقدير الأوروبي.

قال: "لا يمكنني فعل ذلك، فلم يأذن لي العيدروس بالبقاء". فأصرَّ التاجر، ومع ذلك رفض الشيخ وبقي في قاربه. أجتمع كل أصدقائه التجار حوله في منزله وسألوه من أين جاء ومتى؟ فأجاب: "من عدن" فسألوه مَن جاء به فأجاب: "رجلٌ ما". فسألوه: "متى غادرت عدن؟" وعندما قال لهم في السادسة اندهشوا، لأنهم يعرفونه صادقاً. قال: "الشخص الذي فعل بي ذلك ما يزال على الشاطئ". فعزمَ الجميع على استضافته ليكون شيخهم، وفي الرابعة صباحاً، ذهبوا نحو الشاطئ وهناك شاهدوا القارب ولكن أحمد تخفّى عنهم مستلقياً على بطنه. فاستقلوا قارباً للمجيء به، لكن زورقه اختفى كلمح البصر، وعاد الصوريون خائبين إلى منازلهم، وجاء أحمد إلى "جبل إحسان" وتوفي هناك، عند طرف الشاطئ.

عندها شَعَرَ عيدروس أن أحمد قد توفي وأن جسده في جبل إحسان، أمر ستة رجال بالذهاب إلى جبل إحسان على قارب وأعطاهم **"قُوصرَة"** (سلة مصنوعة يدوياً) من التمر و**"سِمنَة"** (وعاء من السَمْن) وقال: "هذه لولي الغدير. ستجدون جسده والهوري الخاص به على الشاطئ فادفنوه، ثم وزّعوا التمر والسِمنَة للفقراء الذين تجدونهم هناك".

ولمّا وصلَ الرجال وجدوا الجثة ملقاة على الشاطئ جاهزة للدفن، ووجدوا قبراً محفوراً بقدرة الولي. وقالوا لأحد الفقراء "اذهب إلى المركب وأحضِر التمر والسِمنة لجنازة الولي" ولكن في الحال تناثرت التمور في أنحاء الصخور وسالتِ السِمنة على الماء، فقال الناخوذة: "ناولني قِدر الطبخ من القارِب" فملأه بالسمن من الشاطئ وجمعَ التمر من على الصخور فوق ردائه وترك هدية العيدروس دون أن يمسها. ثم دفنوا الولي وعادوا إلى عدن، وعاد الناخوذة إلى العيدروس بتمره وسمنهِ. فقال له العيدروس "لماذا لم تعطِهم الفقراء؟" فأراه الناخوذة التمر والسمن الذي جمعه وقال "جَلَبَ البحرُ السمنَ وجلبتْ الصخورُ التمرَ".

فأخبرَ عيدروس الجميع بأن "أحمد بن أحمد الزيلعي" قد دُفن في جبل إحسان وأنه كان "شيخاً" قديراً، وقال: "يجب أن تثقوا جميعاً برحمته". حدث كل ذلك قبل بناء البريقة، ربما قبل حوالي 300 سنة، ولكن هذا مجرد تقدير المَنصَب، الذي لا يجيد القراءة ولا يعلم متى حدث كل هذا. ولمّا توفي ابن الوليّ، أمر العيدروس بدفنه في ضريح والده.

لديّ روايتان لهذه القصة، ربما تكون الاختلافات بينهما ذات أهمية. [والراوية الثانية تفيد] إن الولي سقط من الهوري وابتلعه حوت، ثم سبحَ الحوت مباشرة نحو عدن الصغرى وانقطعت به السبل هناك على الشاطئ. ثم جاء رجل ليشقّ بطن الحوت لاستخراج زيت كبد الحوت[46] الذي يستعمل لمعالجة الخشب، فوجدَ الجسد بداخله فأخرجه ووضعه على الشاطئ. وفي الليل رأى الناس نوراً عظيماً كاللهب يتصاعد من الجسد فاقتربوا منه فقال: "أنا أحمد بن أحمد الزيلعي". وسبب وفاة أحمد أن التاجر أنكرهُ بقولهِ "رجلٌ ما" (وقد نفى المنصب ذلك وقال، لقد كانت إرادة الله فقط)[47].[48]

[46] يأخذ الصيادون زيت كبد الحوت [=الصِيفَة] حتى يتمكنوا من الرؤية بشكل أفضل عند الصيد ليلاً، وهو اكتشاف تجريبي مثير للاهتمام لمحتواه من الفيتامينات وما يترتب على ذلك من خصائص.

[47] تمت الرحلة على طوافة خشبية (رَماس) صنعه الغدير على جبل إحسان، حيث كان يعيش ويصطاد، ثم جيء به إلى جزيرة صيرة لذلك الغرض. طُلب من التاجر الاستلقاء على المركب وكان مغطى بقطعة قماش. لقد تم تحذيره بشكل خاص من أنه عندما يعود إلى المنزل، عليه ألّا يكشف بأي حال من الأحوال الكشف عن الشخص الذي أحضره، ويكتفي بالقول إنه الله. وعندما وصل إلى مرفأ وطنهِ (قال كثيرون أنه البصرة) وتعرّفَ على منزله، حذّره الغدير مرة أخرى ألا يكشف عن كيفية وصوله بأي حال، وأن يقول أنه لو تحدث عن ذلك فسوف يموت الغدير. وأضاف الغدير أنه إذا مات فيجب أن يُلف في كفن، ويوضع على المركب، ويُدفع إلى البحر. زوجة التاجر سألت زوجها مراراً وتكراراً عن كيفية وصوله، ثم هددت بالعودة إلى منزل أبيها إذا لم يخبرها، فأخبرها ونقض بالعهد. بقية القصة نفسها، باستثناء جزئية أن الغدير بنى قبرهُ خلال حياته. في الاحتفال يتم الرقص بالخنجر مرتين، كلاهما على قِطاع بري صغير في الجِرف. شوهد نفس الرقص في احتفال الولي داؤود في دار الأمير. يجرح الراقصون أنفسهم بسكاكين، يجرحون أجسادهم وألسنتهم، مستعملين عيون كِباش مدّعين قدرتهم على اخراج أعنيهم واستبدالها بأعين الكبش، ثم إعادتها. ويرقد أحدهم على الأرض بينما يطعنه الآخرون حتى الموت. الأداء مروّع ويبدو وكأنه ضحية بشرية وهمية. كان يؤديه الحجور. من الجدير بالذكر أن الإلقاء في البحر لا يتم لولي الغدير وحده، بل وللتمر والسمن أيضاً. ولهذا الولي ضريح مهم في "مساوى" وآخر في البصرة. كنّا موعودون بالحصول على معلومات عن كليهما لكن ذلك لم يحدث. لا يستبعد أن ولي الغدير لم يكن في الأصل سوى "الرياح الموسمية" التي تختفي وتموت ثم تعود حاملة الفاكهة والشحوم والتوابل وكان من المهم صون سِرّها. آلهة استوائية A tropical Persephone. [المُراجعون للأصل].

[48] تعقيب ياسر علوان: "هذه القصة في رواية أخرى يقال أنها تعود لولي اسمه "مشبوح" وقبره في طرف الخيسة وكان يتم توزيع القهوة و الحلاوة على الأطفال عند قبر مشبوح وليس الغدير" [المترجم].

للولي جيش روحي يوجهه خمسة "شياطين" أو أكثر (ربما المقصود أرواح)، كل منهم لديه عدد لا يحصى من الأرواح تحت إمرته أو إمرتها. ويُشار إلى هؤلاء القادة أنهم "جن". وسنناقش ذلك فيما يلي بالتفصيل. وأسماؤهم هي **"الضَرِبَة"**[49]، و **"الجِرف"** أو **"أبو قيامة"**، و **"كُعَبَين"**، و **"عرادية"**[50] وربما أيضاً **"الصَليل الكَبير"**[51]، و **"نَقيلي"**. وربما كانت **البريقة** ضمن هذا المجمع قبل فصلها[52]. إذا ذَكَر أحد الناس الولي بشرٍّ في غمرة غضب، فإن الوليّ يرسل عليه جندياً من الشياطين يتلبّسه ويدفعه للجنون. حينها يأخذه ذووه إلى المنصب، الذي يمسك بإصبع المريض الصغير بشكل منحنٍ فيصرخ الشيطان ويُخبِر عمّا ارتكبه الشخص من خطأ. بعدها يسأله المنصب قائلاً: "مَن أنت؟" فيرد الشيطان باسمه ويحدد القائد الذي أرسله. عندها يقول المنصب "هذا يكفي، اذهب!"، ولكن الشيطان يرد "أريد حلوى" (أحياناً يطلب سكّراً فقط). فيرد المنصب "حسناً، ستحصل عليه، فقط دع هذا الرجل". ثم يسأل الشيطان ما إن كان المنصب حقاً هو المتحدث، وعند طمأنته بذلك يخرج تاركاً الشخص بصحة جيدة، دون أن يعلم [المريض] ما جرى له. ولاحقاً، تُلقى الحلوى في مذبح قائد الشيطان (الكلمة العربية المستخدمة في هذا السياق الدالة على المذبح هي "مكان"، انظر الصفحات التالية) ويأخذها الشيطان في الليل.

وفي أيام المهرجان [=الزيارة؟]، فإن أول قربان يكون من نصب الولي، ثم تُقدم القرابين بشكل عام إلى الجن القادة التابعين له، "تماماً كما يأكل سيد البيت أولاً ثم يُطعم خدّامه البواقي". ولا يوجد شخص محدد لأخذ القرابين لكل جنيّ، ولكن المنصب يوجه أحد الحضور لحمل القرابين. ومن الخطير للغاية التفوّه بأي قول جارح خلال احتفال الولي أو في أي وقت جوار الضريح. وقد غَمَز أحد الرجال لامرأة خلال "العيد" فأصيبت عينه تلك بالعمى للأبد؛ وفي إحدى المرات قاد رجل امرأة لممارسة الجنس لكنهما وقعا على الأرض بلا حراك، وسُحِرا معاً. فجاء المنصب ووضع عليهما ملاءة. ثم لَفّ البِيرق (عَلَم) حول الجاني على كتفه الأيمن وسأله إن كان تائباً، فاعترف الرجلُ وأطلقَ سراحه بعد أن تعهّد بتقديم قربان.

---

[49] في الأصل "الذِربَة" وهي كذلك في جميع مواردها في المقالة هذه، إلا أنها اليوم تسمى "الضربة"، ويبدو أنه وهم من الكاتب عند سماع اللفظ، فهو يفسّر التسمية بأنها تعني "ذات اللسان الفاحش" وهذه دلالة الجذر "ذرب" في العربية، جاء في معجم العين "الذَّرِبُ: الحادُّ من كل شيءٍ، لِسانٌ ذَرِبٌ". أما الضَرْبَة فهي تسمية محلية تطلق على العواصف البحرية [المترجم].

[50] في الأصل "الرادية" واليوم تسمى "عرادية" ولعله وهمٌ من الكاتب، حيث يغلب على سكّان تلك المنطقة إبدال العين همزة، فلعله سمع قولهم "أرادية" فظنّها "الرادية".

[51] في الأصل "السَليل الكبير" واليوم تسمى "الصليل الكبير"، وفي النقوش السبئية يرد "صلل" بمعنى كسا بصفائح من الحجر، صلال أو صليل (المعجم السبئي، ص 142)؛ وانظر Piamenta, p. 285 [المترجم].

[52] تعليق ياسر علوان: الذِربة هي الضربة؛ الجِرف صحيح؛ أبو قيامة صحيح؛ ضبط كعبين هو: "كُعَبَين"؛ الرادية هو ساحل عرادية؛ السليل الكَبير هي جزيرة الصليل الكبير؛ ونَقيلي لا أعرفه. [المترجم].

الذِربة [الضَربَة[53]]:

يبدو أن اسم الذِربَة يعني "ذات اللسان الفاحش". وهي نتوء صخري مستدير بارتفاع حوالي 30 قدم منحدراً من البحر. والمذبح عبارة عن حجر طبيعي شبه مكعب على الجانب الجنوبي تُراق عليه القرابين [السائلة]. كما أن لها **"مُستَرَة"** محفوظة في المتحف البريطاني. (انظر الحاشية رقم 77) وقيل إن الجنية شوهدت بالأشكال التالية: امرأة مرتدية السواد "مثل شبح النساء الانجليزيات، التي تمشي في خليج التلغراف Telegraph Bay في عدن"، ككلب أو ككبش بحجم إنسان أربع مرات وبوجه آدمي وإحدى قَدَميه الأمامية مفقودة[54] وهي القائدة الوحيدة التي شوهدت من بين قادة الولي، ويمكن تحضيرها بواسطة امرأة معيّنة كان من الصعب الحصول على معلومات عنها، وأظنّها والدة الشخص الذي يزودني بالمعلومات. في هذه المناسبات تتحول [هذه] المرأة نفسها، ويتّسع فمها من الأذن إلى الأذن وتصبح عيناها ككرات من اللهب ويتدلى ثدييها أسفل سرّتها؛ فهي مرعبة للغاية لدرجة أنك ستشيح بناظريك عنها، وعندما ترجع النظر ستجد أنها ذهبت وترى امرأة عادية ثانيةً. وقيل لي إنني غير قادر على رؤية هذه المرأة "الوسيطة" لأنها في حالة حِداد.

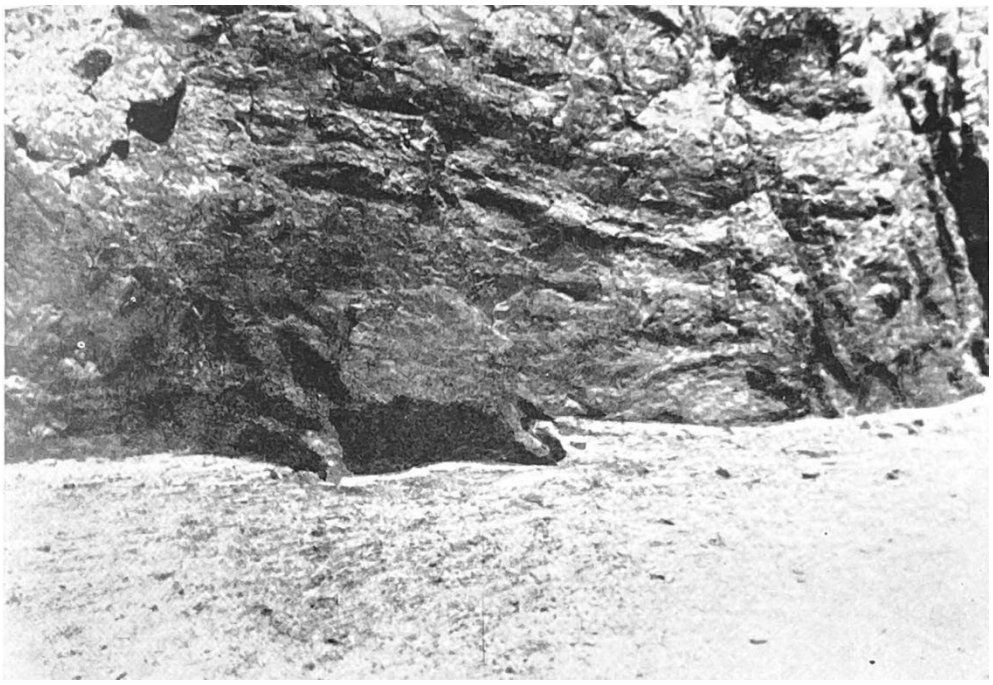

مذبح الذربة/الضربة

[53] في الأصل "الذربة" وهو وهمٌ من الكاتب، والصواب ما أوردناه بين قوسين مربعين "الضربة". [المترجم].
[54] يقترح الدكتور عَفَارة أن القدم الأمامية المفقودة فقط للتأكيد على الشذوذ، لإثبات الطبيعة الخارقة للطبيعة للحيوان.

بحسب إحدى القصص، عندما يجتمع المناصب والمنصوبات لاحتفال، وبعد مدة من الرقص، بإمكان هؤلاء استدعاء أي روح من الأرواح، والتي بدورها تتلبّس أي امرأة حاضرة، إمّا مِن بين المشاركات أو من المنصوبات[55] وبذلك تظهر [أي الروح] للجميع. وهذا أيضاً لم أتمكّن من مشاهدته، غالباً لأنني لم أكن معروفاً بما يكفي لأهل البريقة؛ ويبدو أنها ممارسة سحرية سرّية.

وقد قيل إن الذِربَة تحت إمرة "الدأيسي"[56] الذي جاء إلى عدن الصغرى بعد الناس الآخرين. ويُقال إن المنصب صالح بن ناصر الصوري[57] وراعي الرادية [عرادية] أيضاً تحت رعايته، ولكن هذه المعلومات من مصدر واحد فقط.

[55] الأشخاص الذين قد يتأثرون بشكل كبير هم سحرة مبتدئون إلى حد ما. يُعرف الممسوس بأنه "استحمَل" وتدلّ التسمية على الاعتقاد بتلبّس الروح به. ويشكل الناس المتأثرون بروح معينة حلقة زار. والزار في الاعتقاد المحلي قادم من مصر القديمة. يقال أن الروح تمتلك جميعا الأتباع. وهناك عدة طقوس مثل "الزار الحبيشي" و"الزار الحُسَيني"، حيث إن حُسَين جني يسكن جبلاً في إقليم الصبيحي. عندما يمرض شخص، فإنه يذهب أو تذهب إلى "العارِف" وهو شخص قادر على اكتشاف سبب المرض، في شعيرة تدعى "الإسم" يضحى فيها بكبش ويؤكل ويتم تحديد شخص ليقود [طقوس] الزار. يحضر عدد من المناصب والمنصوبات، وعندما يتم اكتشاف الروح، يُنصح المريض بما يجب القيام به، كالامتناع عن الطعام، والامتناع عن تداول أو طبخ بعض الأطعمة وأن يحافظ على النظافة ويستعمل عطوراً معينة ويمتنع عن الجِماع في أوقات محددة وأن يحضر كل اجتماعات الزار. (لا يجوز للشخص المسكون من قِبَل معجز أن يأكل اللحم أو السمك). حينها يكون المريض أحد الـ"مُزَوَّرات" (أو المُزَوَّرين) ويحق له الرقص في الشعائر. يعاقب المزوّر من قِبل الروح بالمرض أو الجنون أمام الجميع إذا ارتكب خطيئة. وليس لكل الجن زار. وتنظيمهم على النحو التالي:

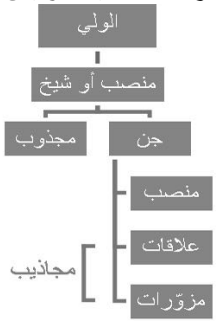

من خلال الوصف الموجز المقدم من قِبل:

B. THOMAS, Alarms and Excursions in Arabia, London, 1931, pp. 261-262, =

يبدو أن الممارسات المحلية تختلف بشكل كبير. [المُراجعون للأصل].

[56] في الأصل "الدأيسي" ولكن في موضع آخر "الداعسي" ويبدو أن أحدهما خطأ طباعي؛ ويفيد ياسر علوان أنه وجد اسم "دعيسة" لامرأة، وهي زوجة الشيخ الحجي وكانت تمارس الكَيّ، وزوجها الحجي هو مَن أقام مسجد في ساحل عرادية مقابل كود النمر [المترجم].

[57] تعقيب ياسر علوان: "صالح بن ناصر قرو شيخ المقاورة في الوادي الصامت" [المترجم].

الجِرف أو أبو قيامة:

الجِرف هو صخرة من الحجر الرملي؛ امتداد للكثبان المتحجرة المذكورة آنفاً. وهو أيضاً الاسم المحلي لهذا الكثيب الحجري (في الفصحى: الجُراف هو التُربة التي جلبها السيل). أما أبو قيامة (المُخَلِّص، المُفتَدي)[58] فهو التَلّ المنتصب عند سفح هذا الحجر. وقد بنى الجيش مؤخراً كوخاً صغيراً في قمة "الجِرف". ويُقال أنهم عانوا أمراضاً كثيرة حتى انتقلوا إلى مكان آخر؛ وبحسب رواية أخرى، فهؤلاء لم يكونوا مؤذين، بل على العكس، فقد كانوا يقدمون الماء للعابرين من هناك؛ وثمة بعض الشكّ فيما إن كان هذا الجني تحت إمرة "الرشيدي" أو "المَصَفري" لأن هذا الأخير على الأرجح عاش بالقُرب قبلَ أن ينتقلوا إلى قُفُم. وعَبيد هادي علي (منصب الولي) هو ايضاً منصب الجِرف؛ لم أتفقد موقع هذا الجني عن قُرب.

[58] ربما يشير اسم "أبو قيامة" إلى بروز التل خارج البحر فقط. [المُراجعون للأصل].

الكُـعَـيْـبَـيـن:

(معنى الاسم: الثديين غير مكتملي النمو)[59] يقع أسفل نتوء صخري. ويقال إنه كان جزءاً من الجِرف حوالي 4 × 2.5 × 2.5 قدماً مكعبة. ومؤخراً قام مقاول عربي بتكسيره وإزالته. ويقال إن المقاول كان يَعرف هوية هذا الحجر تماماً ولكنه أخذه لأنه كان قريباً من البحر، ومع ذلك ما يزال المكان مَزاراً مطروقاً، وكان هناك ثلاثة زوّار في اليوم الذي زرت فيه "تَعجيز"[60]. ويُقال إن الرمل يتحرك إلى الأعلى والأسفل من تلقاء نفسه. (الوصف المُقَدّم يطابق وصف الرمل المتحرك جرّاء انطلاق الغازات، كما في جبل فيزوف الأصغر[61]) ويبدو أن القصة التالية تُظهِر أن هذا الموضع هو أحد المنافذ إلى عالم الجن السفلي:

قيل إن رجلاً يدعى "علي امْحَسون"[62] ذهبَ إلى الصخور في الليل وتحدث إلى صديقه "علي امْهَدّو" (؟) الذي حبسته الجن. وقد سألته عن ذلك فقال إنه قبل حوالي عشرين عام كان علي امهَدّو يصطاد، وكان أمهر الصيادين والسبّاحين، في الصباح عثر الناس على الهوري الخاص به يطفو فارغاً وسط شِباكه؛ لقد خطفته الجن. لا يمكن أن قرشاً قد التهمه لأن ذلك كان سيترك بعض البقايا على الشِباك، وقد بحثت عنه الشرطة وجميع أفراد القرية دون أن يقفوا على أثرٍ له. لم أسمع صوته، هذه كذبة، ولكنني ذهبتُ مع بقية الصيّادين إلى كُعَبَين وهناك سمعنا الجن وضرب الطبول في حين لم يكن هناك أحد" (أياً كان الذي سمعوه، أو الذي يعتقدون أنهم سمعوه، فمن المستبعد أنه صوت صدى لأنهم معتادون على هذه الظاهرة).

المنصب هو سالِم هوَيدي، وكُعَيبَين تحت مسؤولية المُقاوَر (أو مُقوَري) الذين كانوا "رعيّة" العقارب، ولكن يقال إنها تحت عناية "صالح بن ناصر".

---

[59] ولكن من المُحتمل أن يكون اللفظ من اللغة المهرية "قـبَـيـن" [Qəbáyn] أي عقرب. هذا اللفظ وغيره من الألفاظ منقول عن Bertram Thomas, Four Strange Tongues from South Arabia, The Hadara Group in Proceedings of the British Academy, Vol. XXIII, 1937. [المُراجعون للأصل].

[60] في الأصل "طَـقَـيـز"، وهذه المنطقة حسبما حددها مايرز في خريطته الملحقة على هذا المقال اسمها اليوم "تَعجيز" فهو خطأ على الأرجح، فصححناه. [المترجم].

[61] يحاول الكاتب هنا تقديم تفسير عقلاني للوصف المقدم له، مقارناً إياه بظاهرة طبيعية في جبل فيزوف في إيطاليا، حيث تنطلق غازات من تحت الرمال تتسبب في حركتها. [المترجم].

[62] ال التعريف تنطلق عادة "ام" في جنوب الجزيرة العربية.

عرادية[63]:

هل هذه روح شريرة؟ (ربما بمعنى "المُريدة" أو على الأرجح "الملعونة") المذبح ليس كتلة مكعّبة، وإنما امتداد من صخرة مسطحة مائلة على الشاطئ يغسلها البحر. وقد تم اقتلاع النتوء الآن. قال العاقِل: "جميع صخورنا تُدَمَّر، ما عسانا نفعل؟! إنها الحكومة"؛ ومع ذلك أنا متأكد أن ذلك الشعور ليس قوياً في هذا الشأن.

عود المعجز مع جبل عرادية في الخلفية

من المحتمل أن "عرادية" ميتة، "فعندما اقتلع رجل الصخرة هناك ساح الدم دفعة واحدة، رغم عدم وجود أحد، وهذه علامة الجني؛ أن يوجد الدم دون وجود بشر." شكل "الجنّية" مجهول ولكنها تُشعرهم بوجودها من خلال رمي الأحجار على المارّة. وقيل أيضاً أنها تحت إمرة "الداعسي".

63 نكرر التنبيه إلى أنها في الأصل "الرادية"، ولكنها اليوم تسمى "عرادية" فلعله وهم من الكاتب، بسبب حالة الإبدال الصوتي عند سكّان المنطقة. وبالتالي فإن التفسير اللغوي الذي قدمه المؤلف (المُريدة) ناتج عن سوء فهم [المترجم].

الطَقَيز:

(يبدو أنه اسم حِميَري[64]) هذا حجر "جِرف" ربما تشكَّلَ على الشاطئ الأمامي حيث توجد الكثير من الأصداف البحرية. ومساحته حوالي 2 قدم × 1.5 قدم × 0 قدم فحسب. وهناك أربعة أحجار بركانية حمراء مكعّبة تقع تحته بقليل عند سفح منحدر، ويقال إن هذه الأحجار كانت تحيط به [بحجر الطَقَيز]، قبل أن يدحرجه الأطفال بعيداً. وينتصب الحَجَر وسط ساحل تُجمع منه الأحياء البحرية[65] وبه شقوق، وكمية من الصخور المحطمة والكثير من الأصداف البحرية المكسّرة إلى قطع صغيرة جداً.

ويعود [الحجر] إلى "المَصافرَة" الذين عاشوا في هذه المنقطة قبل أن ينتقلوا إلى فُقُم، ولكن قيل إن "صالح بن ناصر" هو من يرعاه. ولا أحد يعلم ما إن كان [الطَقَيز] جنّي أو جنّية أو ماهيته. يقول المَصافرَة إنهم حينما وصلوا قال لهم البدو ذلك "فاتبعوهم".

كانت "البُرَيقَة" جِنّيّـة، قمة صخرية[66]، تقع بين القرية الحاليّة و"عرادية". وقد أزيلت لبناء عدن الحديثة، ثم نساها الجميع عدا كِبار السن، ثم أطلق على القرية اسم "البريقة". ولعلنا نخمّن بشكل معقول أن البريقة كانت أحد قادة الولي (واسمها قد يعني "البَرق الطفيف" أو "اللَمْع الخفيف").

---

[64] لم يرد الجذر "ط ق ز" في النقوش العربية الجنوبية ولا الشمالية [المترجم].

[65] استعمل الكاتب مصطلح Strandlooper ليشير إلى نمط العيش على جمع الأحياء البحرية، وهو في الأصل متعلق بقبائل الخويخوئيين Khoekhoe المنقرضين في جنوب غرب أفريقيا والذين عاشوا على هذا النحو. [المترجم].

[66] ربما حجر نيزكي؟ [المُراجعون للأصل].

الصليل الكبير:

هي صخرة تشكل بذاتها جزيرة، ولم يُكتشف عنها شيء آخر سوى أن بها جِنّ. (اسمها يعني "الجزيرة الكبيرة").

النَقِلي:

هي صخرة تقع بين الذِربَة والولي، ويقال إنها خادم الولي. وقد وُصِفت بالإنجليزية بأنها standby for the Wāli (حارس، خادم الوَلي) ويبدو أن الاسم مرتبط بالنقل أو التَحَوّل[67]. وكانت القرية قبل الحرب تتعاون في دفع اشتراك قدره 50 ريال (3-1 5-0 يورو) مقابل التمور والسكر الخ، بوصفها قرابين لجميع الجن. أما اليوم فالطعام باهض الثمن ويصعب اقتناؤه، ويموت الجن بسبب نقص الطعام، وكذلك صيد الأسماك محدود. وقد كان أحد المسنين متشككاً من الأمر وقال إن في الماضي لم يكن هناك جن، وإن كل هذا من اختلاق امرأة عجوز (ولكن انظر رواية نفس هذا الرجل عن الجن الناريين في صفحات تالية!).

الحَجَّرَة:

رغم أنها لم تكن خادماً للولي، إلا أنه من المناسب ذكرها هنا. اسمها يعني غالباً مؤنَّث الحَجّور[68]، والحَجّور أناس سود البشرة نجدهم في جميع أنحاء المحميّة. ويُعتقد أنهم إما مهاجرون أفارقة أو من عِرق الزنوج (negrito)، (هل يمكن أن يكون لهذا أي صلة بهاجَر أم إسماعيل؟). شخص واحد فقط ذكرَ عَرَضاً أن هذه [الحَجَّرَة] هي الجنية الأولى. ولها مذبح بارتفاع حوالي 4 أقدام وسطح مربع طول ضلعه 3 أقدام، في قاعدة "جبل أخضَر" بالجانب الشرقي. ومعظم سطحه مُلطَّخ بالسواد بسبب القرابين، حيث رأيت أحجاراً نُقشت عليها تواريخ، وأعشاباً ذابِلة إلى جانب شحم أريق ساخناً ثم تَجَمَّد.

---

[67] قال الإرياني في المعجم اليمني "المَنقَل المذكور في نقوش المسند والقواميس هو الطريق الصاعد في الجبل، اسمه الشائع عندنا اليوم هو النَقيل، ويُجمع على نِقْوَل، وما أكثر النِقْوَل في اليمن" ص 1032 [المترجم].

[68] لفظ "حاجور" في اللغة المهرية يعني "عَبْد". [المُراجعون للأصل].

تقدمات مذبح الحجرة

ونجد رائحة السكّر الحلوة تحملها الريح لمسافة بعيدة. وهذه الجنية تنتمي إلى "عَبيد" (حَجّور) والذي يقال في القرية أنه يتحدر من نسلِ عبيد [من العبودية]. والمنصب حالياً هو "أحمَد بن نيقا"، وهو ابن "عَليَّـة بنت خَميس"[69] التي كانت مَنصوبَة حتى وفاتها.

[69] في الأصل "أحمَد بن نِنجا" و"عَليَّـة بنت خامِس"، والتصويبان من ياسر علوان [المترجم].

منظر عام لمذبح الحجرة والقمة البركانية (جبل أخضر)

المَعَجِز:

هي اهم جنية في المنطقة؛ مستقلة تماماً عن الولي. ويبدو ان اسمها يعني "صانعة المعجزة". وبحسب مريدها فإنها "شَريفَة" و "شَيخَة" من مجموعة "شياطين" ينتمون إلى الله[70]. وبحسب "الجوحُلَة" منصوبتها، فإنها أقدم من الولي، ولكن لا أحد يعلم إلى أي حد أقدم. قبل النبي؟ بعد النبي؟ الله يعلم. وقد أسَرَها أحد الرجال في زمن "صالح سعيد" قبل جيلين فحسب، ولكن أحد المسنين والذي كان على معرفة بصالح قال: إن هذا غير معقول، وإنما هو جَدُ صالح سعيد، في حين قال رجل مسن آخر أنه جيء بها في الأصل من "الوَهْط" وهذه قصة أسرها:

في البداية لم تكن هناك مَعَجِز. وذات يوم ذهب رجل للصيد في عدن الصغرى، فأقام مصلى على الرمال وصلى، ثم عاد حاملاً أسماكه ليبيعها في "بير أحمد"، وفي الطريق شاهدَ "جنية" تمشي مع اختها؛ ثدياها يتدليان على كتفيها، لكنها لم تره لأن شعرها كان منفوشاً، فأطبق ذراعيه حولها وأسَرَها، وهربت أختها إلى البحر؛ فقيدها وأخذها إلى المنزل وحبسها في أحد منزلَيه الاثنين، حيث أطعمها السكّر والتمر. ثم أحضر جَمَلاً وربطها عليه ودار حول السُمرات (أشجار شوكية) وخيَّرَها بين الأشجار ليربطها على إحداها، فاختارت إحداها، وهناك أخذَ طعامها ولِباسها. ثم رتب لها احتفالاً قُدِّمَ لها فيه طعاماً وسكّراً وتمراً ولباساً وكبشاً. وموضع الشجرة بقرب "بير ام دُرَيمِيَّة". ولاحقاً اكتشفوا أن لمعجز زوجاً يدعى "مُشَيبَة"[71] (بالفصحى: الشبح الأصغر) والذي كان يزورها سراً في شجرتها. وفي أحد الأيام، أزاح الناس جَمَلهُ بعيداً وقبضوا عليه ووضعوه على شجرة أخرى مجاورة، وقدموا له القرابين أيضاً، من السكّر والتمور والأعناب

---

[70] [التقى ياسر علوان بعجوز تزعم أنه خَبَزَتْ مرتين لمْعْجِز في زيارتين، فكان الناس يأخذون الأكل لمنصوبة مُعْجِز (الجوحلة)، وأن جوحلة معجز كانت من منطقة الحسوة أو المِهرام. ولاحظ ياسر أن العجوز الذي كان يستفسر منها تتحاشى الحديث عن الجن وتطلب منه عدم الحديث عنهم وتغيير الموضوع لأن ذكرهم "خيبة" أي سيء. هذا الاجتناب تحدث عنه الباحث أجيوس (Agius) في مقالته، وهي من المقالات النادرة التي استفادت من تقرير مايرز المنسي:

Agius, D. A. (2017). Red Sea folk beliefs: A maritime spirit landscape. Northeast African Studies, 17(1), p. 148. - المترجم].

[71] قد يكون الاسم "ام شَيبَة" (اي: الرجل المُسِن)؛ في الواقع هذا هو الاشتقاق الأرجح. يرى د. عَفّارة أن معجز أيضاً مشتقة من "ام عَجوز" أو أن هناك جناس بين الاسمين على الأقل. قارن ذلك مع التعبير الإنجليزي the old one (العجوز) بمعنى Devil (شيطان). [المُراجعون للأصل].

(وقد زودني الأهالي بقائمة القرابين مثل كل مرة، ولكنني أظن أن الزيادات والحذف عشوائية تماماً من جانب الرواة)[72].

وفي أحد الأيام، جاء أربعة من عقارب السَيْلَة [من آل العقربي] وقطعوا شجرة معجز وأخذوها حطباً، فقتلتهم الأربعة. واليوم يوجد ضريح صغير مبني مِن الخشب (لكني لم أره) يدعى **"عشاء"** أو **"عِشوَة"** في موضع الشجرة أو بجانبه؛ والضريح غالباً أحدث منها، ويحتوي حجراً بركانياً أجوَفاً يدعى **"مُسطَرَة"** أو **"سِطّار"**. ويسمى كل ذلك معاً "مَزار" ويسمى الاحتفال "زِيارَة". وترتبط بهذه الطقوس أعلام **"بَيرَق"** حمراء وبيضاء، و**"طَبْلَة"** وغلّاية تُحَضَّر فيها القهوة **"كِتلي"**. وقيل إنهم لا يستعملون سوى هذه الغلاية بعينها؛ وقبل إدخال الغلايات كانوا يستعملون **"دَلَّـة"** من الفخار.

ويوجد في البريقة يوجد **"عُود"** (عمود) على كثيب الرمل أعلى القرية، وهو عبارة عن **"نَقْبَة"** تقابل **"العَشاء"**. إذا زارت "المعجز" هذا المكان فلا أحد يمكنه المرور خلاله ليلاً دون أن يَقِف شعره ويثبت تماماً؛ وهذا مخيف للغاية. وبعد أيام قليلة من "عيد الأضحى" كان العود يُرى وعليه بيرق جديد بمادة خضراء وبيضاء، وقد أريق على الأرض شحم ساخن تحته. ويقع منزل المنصوبة في "الشيخ عثمان" هو أيضاً "مَزار" يعينها على إقامة احتفالات، وعلى ممارسة كراماتها في المنزل؛ مما يناسبها ويناسب أولئك الذين يحتاجون إلى الشفاء. يُحتفظ بالبيرق في منزلها إلى جانب الطبلة والكتلي، ويبقى العَلَم يرفرف على العَشاء والنَقلَة.

[72] تعقيب ياسر علوان: "ذكَرَت امرأة مسنّة أن "هندية بنت فريد" من نساء الخيسة كانت أيضا مندوبة وكانت زيارة معجز تتم بمرحلتين، اليوم الأول للاحتفال بالزوج (امشيبة) وثاني يوم لـ(معجز) وكانت زيارتها أكبر" [المترجم].

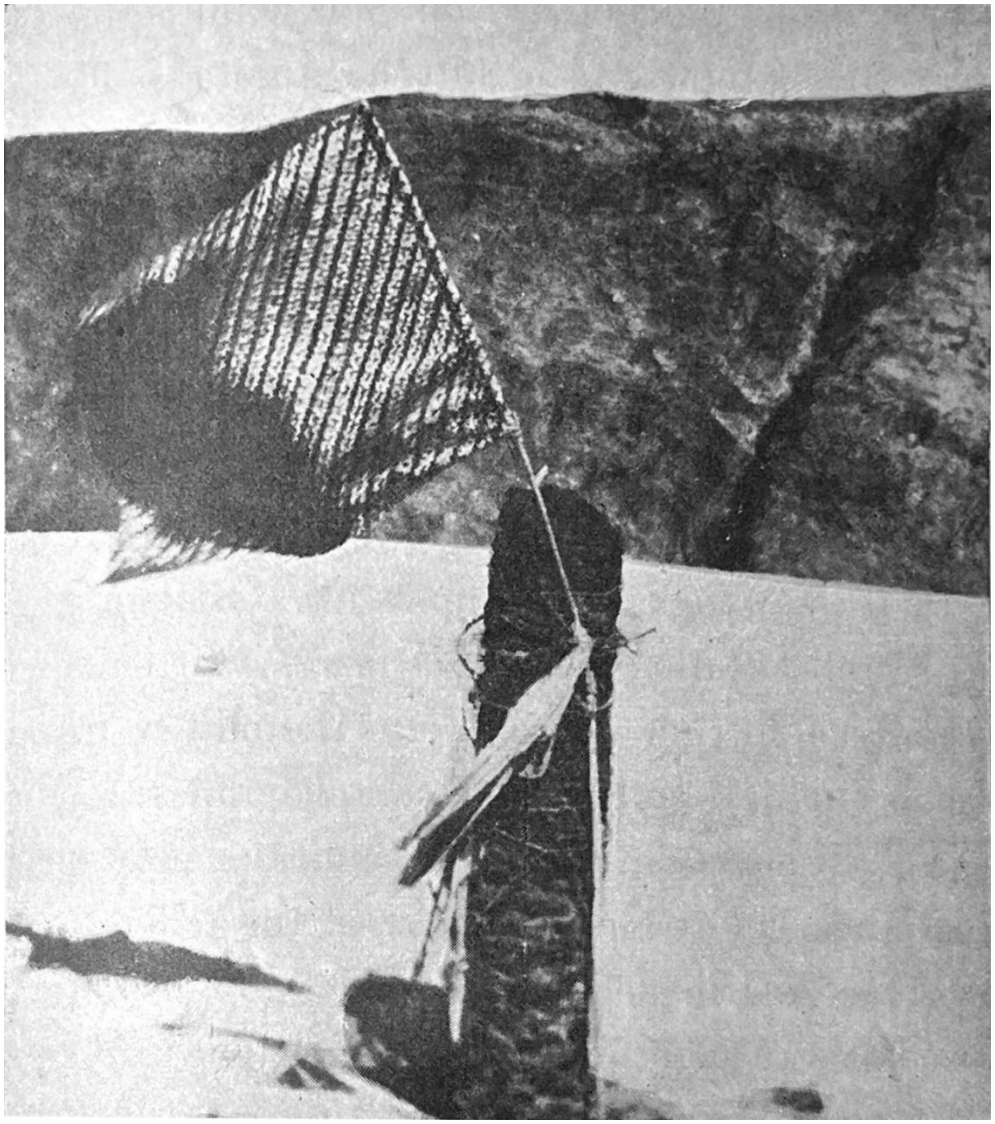

عود المعجز مع جبل إحسان في الخلفية

والمنصوبة الآن هي "مريم بنت محمد صالح سعيد بَيلول الهِنَيدي" وتدعى "الجوحَلَة" وخلافةُ هذا المنصب إلى صالح سعيد، الذي له ابن يدعى "محمد صالح"؛ ثم "علي بَيلول" (ابن أخ صالح)، ثم "مَترَة أبو صالح"[73] و "حَضرَة أبو صالح" (ابنتا صالح؛ تتصرفان معاً)، وأخيراً حفيدة صالح "مريم". وبحسب "الجوحَلَة" فإن جميع المناصب يطلق عليهم تسمية "جوحَل" وأولهم جميعاً كان "علي جوحَل". ويقول آخرون إن محمد هو أول من سُمي "الجوحَل" ولكنهم عاجزون تماماً على إعطاء سبب أو معنى الكلمة. الجوحل في العربية الفصحى هو الضَبّ أو الجعران أو اليعسوب،

[73] يبدو أنه خطأ طباعي، والاسم هو مَطَرَة أو ماطرة. وهو اسم يتكرر بين القائمين على المزارات في محافظة أبين [المترجم].

والجُحال هو "السُّمّ"[74]. وإحدى القبائل الأخرى المتحالفة مع العقارب (انتقلوا الآن إلى الحِسوة) هم "أهل جِعلان" (ومعنى اسمهم حرفياً: أهل الجعران!).

يبدو أن تقليد المنصب ينتقل دائماً في عائلة واحدة ومعجز تنتمي إلى قبيلة الهنيدي. ومع ذلك يتم اختيار "المنصب" الجديد في "الزيارة" بإلهام الحضور. وقد حاول بعض الناس ادعاء المَنْصَبَة ولكن لم يُعترف بهم؛ وقد يجري اختيار الخليفة في حياة "المنصب" نفسه[75].

كانت مراسم التعيين الوحيدة التي تعترف بها المنصوبة هي أن عمّتها تأخذها من معصمها وتقول "الآن أنت المنصب".

وبصرف النظر عن زعامة احتفالات معجز والعناية بالضريح، فإن النشاط الرئيس للجوحلة هو العِلاج من خلال قوة تعرف باسم الزار. هي لا تقرأ الطالع ولا تُخبِر عن اللصوص. (الأشخاص الوحيدون هنا المعروفون بقراءة الطالع هم **"الدناقل"** الصوماليون.) تمارس الجوحلة العلاج بواسطة التفل أو النفث على العضو المصاب. وقوة الشفاء بحول الله ومعجز، وتقول: "يا الله! يا معجز! اشفي هذا الرجل وامنحيه العافية". فيتعهّد المريض بهدية معينة لمعجز في حالة شفائه، وعندما يُشفى يحضرها لمعجز. وبالإضافة إلى الهدية الخاصة بها، فإنهم يجلبون التمور وغير ذلك، ويُنثر في الهواء في الـ"مزار" ثم يختفي؛ يأخذه "الشياطين" الجنود[76].

يبدو أن ثمة نوعاً من التجسيد لمعجز في الجوحلة، والتي يشار إليها أحياناً بالمعجز وأحياناً بالجنية أو بالشيطانة. ويبدو في هذا الصدد أن المعجز أحياناً تتجلّى لأشخاص بنوع من التلبّس في الجوحلة، الظاهرة التي تتولّد غالباً بعد مدة طويلة من الرقص [الجَذْب]. يقال إن كل ما عليها هو أن تنادي معجز لتأتي إليها في الحال أينما كانت. ومع ذلك، يمكن أن تظهر المعجز بشكل مستقل. وقد أخبرني عاقل قرية البريقة (عبدالله أحمد فرج) أنها ظهرت له في إحدى المرات عندما كان على السرير؛ أمسكت بمَرْدَم بابه فارتاعَ منها ونادى قائلاً: "يا غدير! يا غدير!" كان وجهها مرعباً جداً لدرجة أنه لا يستطيع وصفه. ورغم هذه الشكوى، لا يبدو أن هناك أي عداء بين الطائفتين.

---

[74] كلمة "جُـحُـل" في اللغة المهرية تعني بَيضَة (مرجع سابق)، وتسمى أواني الماء البيضاوية: "جَـحلَـة" أو "قَـحـلَـة". [المُراجعون للأصل].

[75] خلال إحدى الزيارات إلى البريقة، سُلِّمَت الطبلة في إحدى المرات من قِبل "الجوحلة" إلى ابنة أخت أو ابنة عَمّ، فتاة صغيرة في حوالي العاشرة من العمر، وقيل لي أنها ستكون الوريثة على الأرجح.

[76] غالباً ما يُتبع النَفث أو النَفَس بسعال. لا يُذكَر اسم الله عادة، معجز وحدها التي تشفي. ويسمى رمي القرابين للرياح الأربع **"تَـنـفـيـح"**، الفِعل: نَفَح. وأكثر ما يستعمل في ذلك اللحم المطبوخ، والخُبز، والتمر المخلوط. في بعض "الزيارات" تستعمل الأحشاء لهذا الغرض.

فالمناصب ودودون ويتزاوجون فيما بينهم. وكانت الجوحلة أحرص الناس على تأكيد نِسبة كل أفعالها إلى قدرة "الله".

يوجد احتفال سنوي كبير تَوَقّف مؤقتاً خلال الحرب، ويقام في الدُرَيمّية عند وصول [دفعات] التمور الأولى من البَصرة؛ وهو الموسم الأكثر شعبية بين جميع هذه الاحتفالات، ويحضره أشخاص من جميع الأنحاء. حيث تأخذ الجوحَلَة طَبْلَة وكِتلياً وبيارق إلى هناك وتُحضِر "كَبشَة" وطعاماً وشراباً للحاضرين. تُحضر القهوة في الكتلي بسكبها في المُسطَرَة أو السِطّار[77] قرباناً لمعجز، وتقوم الجوحلة بتحريكها بإصبعها قبل أن يؤذَن للآخرين بالشرب[78]. ولاحقاً تشرب عائلة "المَـنْـصـب" ثم يشرب العامة. ويجب اطعام معجز قبل أن يأكل الآخرون؛ ولم أتمكن من اكتشاف ما إذا كان قد تم تقديم أي لحوم لها، سواء بوصفها قرابين محترقة أو غير ذلك، على الرغم من أن الأغنام التي يأكلها الحاضرون هي أضحية في الأصل. ويُقال إن الناس يأكلون التمر والسكر والحلويات واللحوم والأرز "كلها مختلطة" ولا يمرضون أبداً!

[77] الحَجَر "مُقَدَّس"، لولا تسمية "سِطّار" لكان من المُغري اعتبار لفظ "مسطرة" تصحيفاً لـ"مسترة" مشتقة من "سَرَّ" بمعنى أن اللفظ متعلق إما بالأسطورة أو بشكل الحجر كالسُرَّة. لا يمكن تخمين سبب تسمية الحجر بغير معنى "ذباح". المعنى المحلّي للفظ "عَشاء" أو "عِشوَة" هو ضريح. وأصلُ معظم الألفاظ المحليّة يعود إلى الحميرية. اسم "دُرَيميَّة" غالباً يشير إلى وفرة الأرانب البرية في المنطقة.

[78] قبل 50 عاماً، عندما رافقَ والدي الحاكمَ في زيارات إلى حكّام المحميات، وكنوع من التكريم الخاص، يقوم "السلطان" بتحريك القهوة للحاكم بإبهامه، والذي عادة ما يكون ظفره حالك السواد دلالة على الحداد. [الكاتِب]؛ الفِعل "سَطَر" في اللهجة المحلية يعني "أراقَ قرباناً".[المُراجعون للأصل]

ويستمر الاحتفال ليومين وليلتين، ويقام فيها **"لِعَب"** حرفياً بمعنى "لَعِب" وهي رقصة محلية. حيث يرقص الرجال والنساء معاً، لكن إذا قام أي شخص بسلوك بذيء، فسوف يسقط بلا وعي على الأرض أو يعاني من آلام شديدة، مثل تقلص المعدة[79]. يبدو أن الرقصات هي ذاتها التي تؤدى في مناسبات أخرى، باستثناء **"التنعّاش"**[80] التي لا يؤديها سوى الجوحلة. وتؤدى [هذه الرقصات] في الأعراس وفي أي مناسبة تستدعي ذلك؛ لكنها أقل انتشاراً الآن، بسبب تأثير التزمت [الديني] الرافض لمشاركة النساء. وقد قال لي أحد الرجال "إنه لمن دواعي سروري أن أراقصَ امرأةً بين ذراعَي" ولا يسعني إلا أن أتفق معه.

[79] من حسن حظ الكاتب أنه استطاع حضور جزء من احتفال الشتاء لعام 1946، الذي أقيم في 6/4 من ديسمبر، وكان القمر بدراً في اليوم الثامن. خُصص اليوم الأول لمعجز، والثاني كُرس جزئياً لـ"ام شيبة". وكانت تفصل بين العودَين مسافة 300 ياردة، حيث نُصبا في صحراء تبدو جرداء، كانت بها من قبل أشجار. تم قطعهما [أي العودين] ببساطة من شجرة محلية. كانت عود معجز محمية بالعِشوة، أو تحديداً بالـ"قَفَص"، الذي شيّد من أغصان مقطعة محلياً. يتكوّن من أربعة قوائم، اثنتان أعلى في المقدمة، وسقف من الأغصان وضع طرفها الكث للأمام، بحيث يتخذ بشكل بدائي للغاية هيئة الضريح الذي أقيم لملك مصر خلال الأسر الأولى. كلا العُودَين مُلبس، كلاهما ملفوف بقطعة قماش، على أساس أنهما عِمامة و"فوطَة". وتحت كل واحد منهما مَبخَرَة فيها بخور، وعدة أكواب من الشاي والقهوة. بعد أن اصطحبنا مرشداً عربياً، وجدنا كالعادة أنه يجهل الطريق، ووصلنا في منتصف الليل عندما بدا الناس يغطون في النوم بعد حوالي 30 ساعة من الرقص والاحتفال. يبدو أنه تم تقديم كبش كامل كقربان لكل روح [جني]، وقيل إن امرأة من عدن أراقَت لمعجز زجاجة عِطر كاملة بتكلفة 25 رُبّية. وقُدِّمت أعلام [بيارق] جديدة لهذه المناسبة، أحدها يحمل العبارة المعتادة "لا إله إلّا ... رسول الله". قيل إن السبب الوحيد لعدم كتابة اسم معجز على البيرق هو أن صانعه كان هندياً ليس بإمكانه أفضل مما فَعَل. (سبق وأن رأيت بيرقا في زيارة سيدي هاشم وقد غيّر النقش عليه ليكون: "... رسول الله" غالباً بيرق هندي؟) وقيل إن إجمالي ثمن القرابين بلغ 700 رُبّية، وبالتالي سعره حوالي 250 رُبية. يبدو من المعقول أن نفترض أن في وطن البخور [أي في اليمن] لا شيء أفضل من قربان البخور. وتم توزيع الطعام على شكل "تَنفيح". كان الرقص مختلطاً حسبما وُصِف وشاركت فيه بعض نساء البدو. رقصت إحدى النساء رقصة "زير" مجنونة (انظر أعلاه) على غرار تصور الأوربيين عن صالة الموسيقى بالنسبة للرقص المصري، وقيل إنها كانت "مَجنونَة شُوَيّة" وغالباً عوقِبَت كما هو موصوف في الحاشية السابقة [المُراجعون للأصل].

[80] يبدو أن بإمكان أي "مُزَوَّرَة" أن ترقص رقصة الـتَـنَـعَاش". [المُراجعون للأصل]

فيما يلي الرقصات التي شاهدتها بنفسي.

ويوجد العديد غيرها، مثل الجِبَّـة، والتي لا تتعلق بالضرورة بمعجز، وتختلف الرقصات كثيراً من منطقة إلى أخرى. ويؤسفني أنني لا أستطيع توفير أو وصف الموسيقى بدقة، ويصعب للغاية رصد التوقيت، فالطبول متنوعة ومتداخلة جداً. في رقصة "الرَقيلة" على الأقل، توجد ثلاث إيقاعات متقاطعة: المغنّي والطبال وصَفير الحاضرين. وهذا يجعل من الرقصة التي كانت لتكون بسيطة دون ذلك، تصبح صعبةً نوعاً ما على المبتدئين. يصفق المتفرجون في الوقت المناسب أثناء جميع الرقصات، وفي بعض الأحيان يقف المتفرج أمام الراقصين ويميل إلى الأمام ويصفق بشدة ويداه أمام وجهه؛ لزيادة الحماس إلى الرقصة. ويتدافع الناس طوال الوقت بشكل معتاد ويتوقفون ويمشون ويشعلون السجائر ويأمرون الأطفال المتجمعين أن يخفضوا أصواتهم العالية، ويخيفون بعض الفتيات الصغيرات لبعض الوقت.

1. الرَقيلة[81]: يرقص الرجال والنساء بالتناوب (أو الرجال فقط) في صفّ. يصفق الراقصان الخارجيان وهما متجهان نحو الداخل. وتتكون الرقصة من قفزتين متناوبتين لأعلى وأسفل على كل قدم، حيث تُرفع الركبتان عالياً في البداية والنهاية. ويتحول الصف أحياناً إلى شكل دائري في نهاية الرقصة، ويمسك كل شخص بخصر من يجاوره، ويصدر الراقصون أثناء الرقص صوتاً كالصفير، يتراوح بين صوات صفير وضجيج القِطار، هكذا: Tchi-Tcheee-tchu-tchu, tchi-TCHEEE-tchu-tchu. والآن حان وقت الرقص. (الإيقاع يبدو 8/8). (رَقَلَ في العربية الفصحى تعني سارَ مسرعاً).

2. الحَـقْـفَـة: تشبه السابقة، ولكن الراقصين يقرفصون ويقفزون مرة أخرى، ويقترب الراقصون من ضاربي الطبول في النهاية، وأحياناً يشكلون دائرة، الرجال فقط على ما أظن. وهي مثل الرقصة رقم 1. (واسم الرقصة قادم من زَبيد).

3. مُزَرِدي: رجلان يرقصان في مواجهة بعضيهما، يقرفصان للأسفل ويقذفان أرجلهما على طريقة الراقصين الروس. ويمسكان أثناء ذلك بيَديهما تحت أفخاذهما، فوق الركبة مباشرة. ويقال إن بالإمكان رقص هذه الرقصة مع الخنجر. الوقت هو 8/6، ولا غناء. (زَرَدَ في العربية الفصحى يعني رَبَطَ الحَبْل).

[81] هكذا في الأصل، لكن بحسب إفادة علوان فنطقها اليوم هو "الـرَكْـلَـة" وهي رقصة شائعة عند المقاورة [المترجم].

4. شَرْح[82]: يرقص رجلان جنباً إلى جنباً، ثم يتقابلان، ثم يدوران. وخطواتهما عبارة عن ركض من ثلاث أو أربع خطوات، خطوة أو خطوتان ثم قفزة. لكن يمكن أن تتنوّع أكثر، فأحياناً يدور الراقص حول الحلقة أو يمشي ذهاباً وإياباً. أما الأغاني فتختلف عن رقم 1 و2. الإيقاع يبدو 8/8 ولكنه ينكسر أحياناً. (شَرَّح في العربية الفصحى تعني أسعد، بعث السعادة).

5. دحَيف[83]: صفّان متقابلان يتقدمان إلى الأمام ويدوس كل منهما بأعقابه الأرض أمام الآخر، ويتجه رجل بلباس امرأة راقصاً نحو الوسط ثم يدور. الإيقاع: 8/8 (أصل التسمية حميري؟).

6. العَروسَة على امْحِنّا[84]: يشكل جميع الراقصين صفاً وحداً بشكل دائري أو شبه دائري حول الطبّالين، وتبدو الموسيقى والأغاني مشابهة للرقيلة. ويبدو أن اسم الرقصة يشير إلى تزيين العروسة بالحِنّاء في الزفاف.

7. زِير: امرأة تقرفص وعلى رأسها قماش، مُمسِكَة بطرفها الأمامي بحيث يظهر الطرفان بشكل قرون. وتتأرجح المرأة من جهة إلى أخرى وأخيراً ثم ترتفع ملوحةً بالقرون. ويصعب رؤية الخطوات. الوقت 8/8. والتسمية تعني "المُغازِل".

8. تـنـعَـاش[85]: رقصة لا تؤدى إلا من قِبل "الجوحلة" (على الأقل في الاحتفال عندما تظهر، وربما تؤديها منصوبات أو مناصب آخرون في احتفالاتهم). يحجب الظلام والحشد عن رؤية الخطوات ولم أكن مهتماً بتخمينها في حينه، فقد كان الطبل محتدماً للغاية. في العربية الفصحى: نعشهُ الله أي رفعه من الأرض.

وتوجد رقصة محلية تدعى "الزُبَيري" تؤدى في احتفال ولي الغدير، وكذلك في مناسبات أخرى. وتؤدى الرقصة بمشاركة رجل وامرأة جنباً إلى جنب، يتقدمان ويتراجعان، يرتفعان وينخفضان، وعادة ما يميلان للخلف أثناء الرقص؛ ساعدُ الرجل الأيمن ويده اليمنى مرتبطان بنظيرهما الأيسرين للمرأة. أحياناً ينفصلان ليرقصا باتجاه وحول بعضيهما. ودائماً تظهر المرأة احترافية في الرقص، في حين يمكن لأي رجل في الحشد الانضمام إليها كشريك في الرقصة. وقيل إنه

---

[82] في الأصل "شَرَّح" بتشديد الراء، ويبدو خطأ طباعي أو سماعي [المترجم].
[83] في الأصل "دِهَيف" ويبدو خطأ طباعي [المترجم].
[84] في الأصل "على مُحَنّا" والصواب ما أثبتنا [المترجم].
[85] في الأصل "تَنَعَش" [المترجم]؛ قيل إن الاسم يشير إلى التحريك الطَرَبي للرأس، ولكنه لا يستعمل إلا بارتباطه بالرقص [المُراجعون للأصل].

على الرغم من تقليدية الموسيقى، فإن الكلمات دائماً تكون مرتجلة للمناسَبَة. ويقال إنه قديماً كان هناك أبيات يمكنها أن تقتل الناس، لابد أن هذا هو "الهِجاء" المعروف.

الشيخ أبو حَبَان[86]:

الاسم العربي للجزيرة المربعة ناحية شرق جبل إحسان على فم المرفأ هو "أبو حَبَان" وعليها ينتصب بَيرق الشيخ أبو حَبَان. (حَبَا في العربية الفصحى هو الحَبو على الأرض، كما يفعل الطفل قبل المشي، أو الانزلاق على الأرض قبل بلوغ الغاية (بالنسبة للسهم)، ولا وجود لجذر "ح ب ن" في العربية[87]. والصيغة هنا حميرية غالباً، من الواضح أنها تعني "أفاعي"[88]).

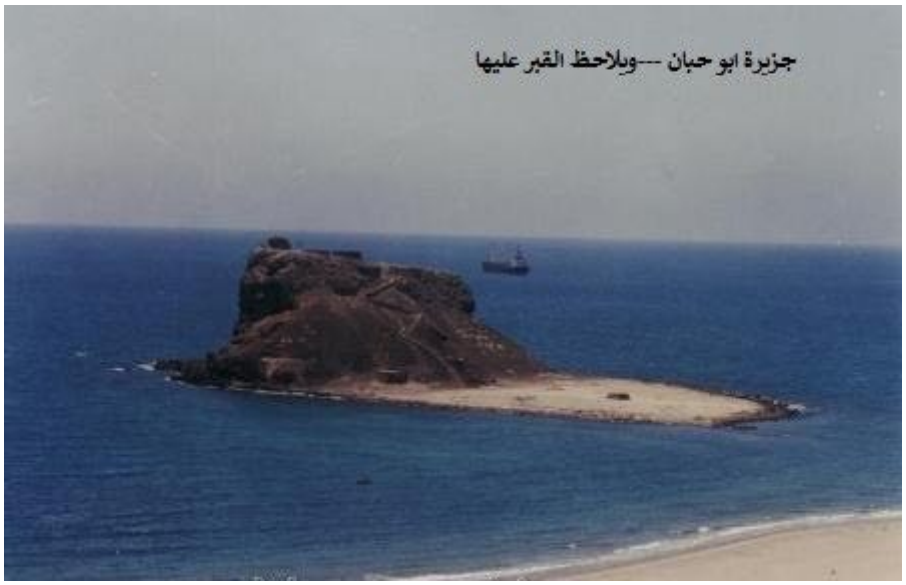

[صورة حديثة عن ياسر علوان، وليست في الأصل - المترجم]

[86] هناك بَلْدَة باسم "حَبّان" بين "أحوَر" و "المُكَلّا" [المُراجعون للأصل].

[87] أخطأ الكاتب هنا، فالجذر حبن وارد في معاجم العربية، جاء في العين: "الحِبْنُ: ما يَعْتَري الجسد فيَقيحُ ويَرِمُ، وجمعه: حُبُون. والحَبَنُ: أن يكثر السِّقْيُ في شَحْم البطن فيَعْظُمَ البطنُ جداً" واللفظ وارد بهذا المعنى في بعض الأحاديث النبوية [المترجم].

[88] لم يرد الجذر "ح ب ن" في النقوش العربي الجنوبية. [المترجم].

رجل وامرأة من الصومال يؤدون رقصة الزبيري في احتفال الشيخ أحمد بن علي

وكان حبان شيخاً عاش قبل زمن طويل على الجزيرة، وقبره هناك، وهو سيّد الأفاعي. ووفقاً للراوي، فقد تعرض جندي إنجليزي للدغة أفعى هناك، ولكن الجنود أحضروا للشيخ بيرقاً جديداً وأصلحوا قبره فذهبت جميع الأفاعي. ولم أتمكن من زيارة هذا الموقع لمعرفة ما إن كان ثمة قبر

لقديس أو وليّ محليّ ما أو ما إذا كان مجرد ضريح لإله أفعى قديم. وقد أضاف الرجل الذي زوّدني بالمعلومات المذكورة آنفاً أن الأفاعي أخطر في الماء منها خارجهِ، وأحياناً تقفز إلى المراكب، ولكنها لا تبقى هناك؛ ويمكن قتلها بإطلاق النار عليها بعينين مغمضتين، وسوف يوجه الله الرصاصة إلى الأفعى "مثل قذيفة أعماق إلى غوّاصة".

المُشِمِّر:

(شَمَرَ في الفصحى تعني رفع أكمامه أو استعدَ للعمل) يقع على الجانب الشرقي من مقبرة صغيرة حديثة تضم حوالي عشرين قبراً، شمال الكثيب الذي تقع عليه البريقة. وهو مجرد بيرق بلون أحمر وأبيض. ويقال إن المشمر "شيخ" و "وَلي". ويمكن الوصول إلى هذا الموقع عبر الوادي من "الحَجّرَة"[89] وعندما زرته بعد عيد الأضحى مباشرة كان البيرق جديداً. ووجدتُ في الشمال عظام حيوانات من وجبة حديثة وثلاثة أحجار أوقدت عليها النار. قيل لي إن النار من صنع الأطفال الذين يلعبون هناك وأن الكلاب هي التي أخذت العظام من القرية، ومع ذلك لا أثر لإشعال نار في أي مكان مجاور للقرية، ويصعب فهم قدوم أي أطفال هنا؛ وفضلاً عن ذلك، لم أرَ أي آثار للقضم على العظام. كما لا يطهو أهالي عدن الصغرى طعامهم في الهواء الطلق، حيث لا يوجد مكان [لذلك] دون مسافة نصف ساعة من أقرب قرية! وهناك أولياء يُعرفون بهذا الاسم في أماكن أخرى في العالم العربي.

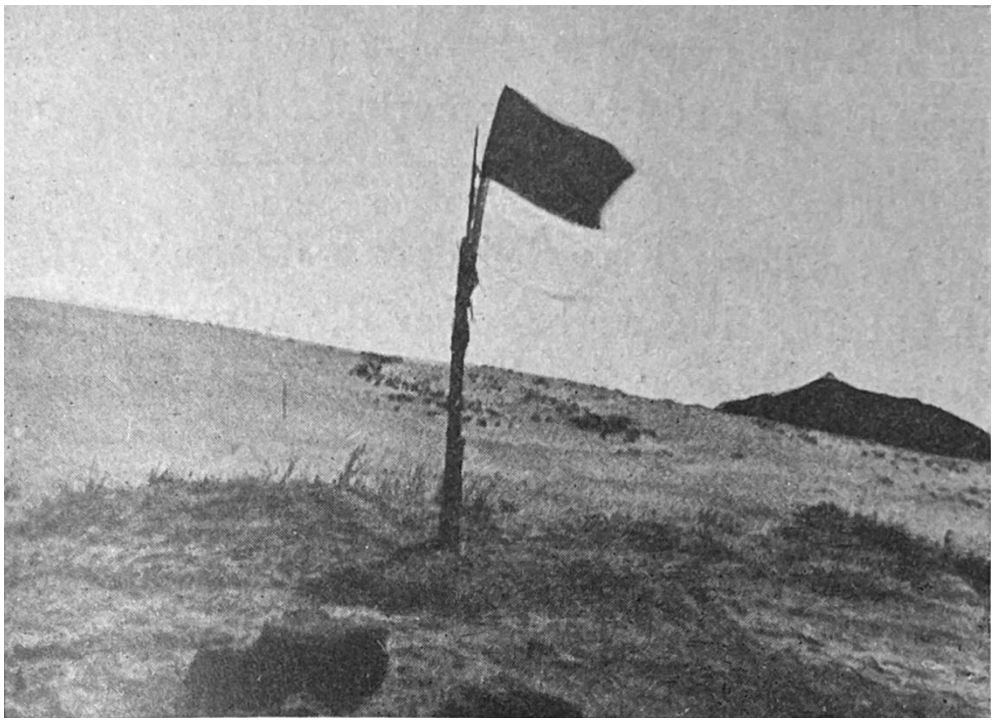

عود المُشِمِّر بين الحجرة ومعجز. ولاحظ العظم والحجارة المحترقة.

[89] تعقيب ياسر علوان: "المقبرة وقبر المشمّر وحجر الحجرة قرب جبل الكسارة (الجبل الأخضر) هو حاليا حي سَكَني شرق مركز بانافع التجاري" [المترجم].

شيخ المَخارمة وشيخ البَيلول:

قبراهما متجاوران في طريق فُقُم، على بعد ميل تقريباً من البريقة، ومنصبهما هو حيدرة محمد حكيمي من شيخ سعيد، وهو "شامي" (حرفياً: سوري، ولكن محلياً تشير التسمية [شامي] إلى الشخص الذي يسكن في خور الأميرة أو شمال اليمن). ولهما احتفال وقرابين[90].

امْنواب:

(في العربية الفصحى: النائب). هي شيخة أو جنية. يقال إن بيتها يقع في الشمال ولكن توجد **"نَقبَة"** قرب بير أحمد أو بير دريمية. لديها منصوبة تعيش في البريقة وتدعى فُطَيمَة بنت عبدالله بن صالح الرِشَيدَة؛ كان والِدُها المنصب السابق ودُفِن قرب ولي الغدير. وهي أقوى "زار" (مُعالِج) في الجوار، ولديها كَرَامَة قوية. وقد حدّثني الراوي في إحدى المرات أنها كانت أقوى المناصب جميعاً، وأنها إذا شاركت في احتفال، فبالإمكان استدعاء كل الشياطين؛ ولم يقدني الاستفسار من الآخرين سوى إلى معلومات هزيلة أو أنهم أظهروا الجهل التام -بما فيهم الجوحلة- والتي يُفترض أنها مرتبطة بهم ومعروفة لديهم جيداً. وكان الراوي لاحقاً يتجنب إجابة أسئلتي عنها مكتفياً بأنها مُعالِجة فقط. وكان هناك بالتأكيد إحجام كبير وخوف مرتبط بها، أكثر بكثير من أي "جوحلة" آخر. وسأقول على سبيل التخمين أنها الساحرة الزعيمة في المنطقة.

[90] تعقيب ياسر علوان: "هذا الوصف يشير إلى مقبرة آل بيلول، وتوجد بين قاعة الكميتي ومبنى إدارة المصافي الذي احترق في 1994. أمام بوابة المصافي غربا ولكن القبور أزيلت (رواية المرأة المسنة والأستاذ "ج هـ م" هي أن هناك قبر للولي المخرمي في راس عمران - حاليا المعسكر)" [المترجم].

حَجَر وعُود:

هين كومة حجارة يبلغ ارتفاعها 3 أقدام وقطرها 6 أقدام، وتقع جنوب الممر من فُقُم إلى ولي الغدير، جنوب الطرف الشرقي لجبل مزلقم تقريباً. يجب على كل يمر بها أن يرمي حجراً ويقول: **"إن شاء الله في كُل سنة حَجَر ونَعود"** وشرح ذلك أحد من حدثوني قائلاً: "... سَنَة نَعود ورَبِّ الناس[91]" وقد أجمعوا كلهم على عدم وجود جن ولا شيخ ولا قبر، فقط حجر وعود! المعنى يبدو أنه "حَجَرَة وعَودة" وهذه كناية: "انسَ ومُت" (forget and die). ولعدم وجود أي عمود، رغم انتشاره في كثير من الأضرحة، فذلك يلغي علاقة المعنى بالـ"عود". وقبور الشيوخ التي يرميها المارَّة بالحجارة هي ظاهرة معروفة جيداً في جميع أنحاء الشرق الأدنى، وكذلك أكوام الحجارة التي يصنعها الأشخاص الطيبون لترشد المسافرين، ولهذه الأحجار تسميات بحسب شكلها. ويبدو أن هذا [حجر وعود] هو شيء ما بين الأمرين.

الشيخ سعد:

لديه **"نَقبَة"** و**"عود"**، على بعد حوالي 50 ياردة من الصخرة المنقوشة في فقم، والتي تؤدي إلى مسار قديم[92]. وتم أنشئت هذه [الطريق] في حوالي عام 1908 على يد منصب ضريح الديس الذي زار فقم وأمَرَهم بإنشائه. ويقال إنه عاش منذ زمن بعيد جداً في الديس. وإذا تكلل موسم صيد السمك بالنجاح فيُكافأ بأضحية من كبش وبعض الرز وغير ذلك، ولكن إذا كان الموسم هزيلاً لا يُقام له احتفال. وهناك رقصة في احتفاله، وربما يجدر بالذكر أن "سعد" هو إله معروف جيداً قبل الإسلام[93].

---

[91] تصويب الأبيات هو:
((**في كُلّ سَنَة حَجَر وعُود،**
في كُلّ سَنَة نَعود ونُورّي الناس
أو: **ورونّي الناس.**))
ويجب رمي حَجَرة وعود. [المُراجعون للأصل].

[92] تعقيب ياسر علوان: "قبر الشيخ سعد يقع بين أفران حرق الجير [الظاهرة في الصور القديمة] وليس في وسط قرية فقم، حسب إفادة الأستاذ ج هـ م" [المترجم].

[93] V. Roberston SMITH, op. cit., p. 44 الحواشي.

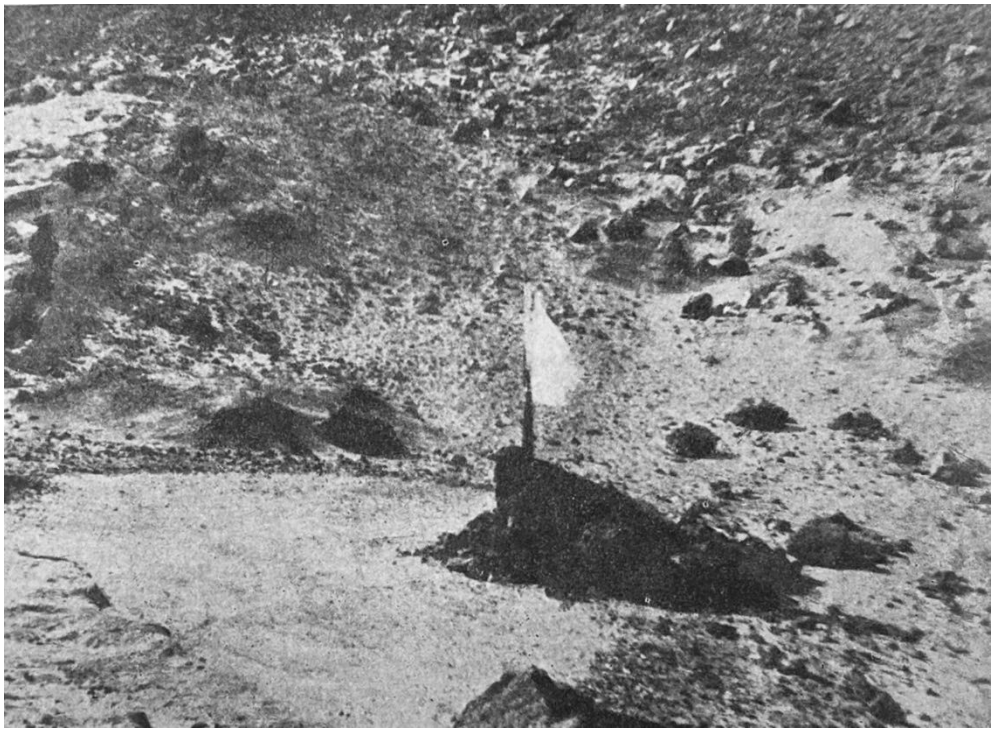

نقبة وعود الشيخ سعد

القبيح[94]: (في العربية الفصحى بمعنى: البشع، البغيض، الكريه، المقيت). هو ضريح رجل توفي قبل خمس أو ست سنوات فقط، ودفن بقرب الولي. وعندما كان حياً كان من طبقة وضيعة، خادماً لآل امحسين، الذين عاشوا خلف راس عِمران[95]. يقع الضريح في موضع منزله؛ يتكوّن الكوخ الذي رُمم مؤخراً من عشب وحصيرة، وهو بقطر 10 أقدام وبارتفاع مماثل، ومُبلَّط من الداخل بالحجر والجص بطول 6 أقدام وعرض 3 أقدام وارتفاع 2 قدم. وقد تعرض للهدم في الماضي على يد محمود تارِش بحجّة أنه ضريح كاذب[96]، ثم جرى ترميمه جزئياً منذ ذلك الوقت. إلى جانب ذلك، فقد عُثر على مبخرة فخارية صغيرة، مثل تلك التي وجدت في مصر الرومانية، وفيها قطعة من البخور والفحم.

---

[94] في اللغة الشحرية "قَبيح" تعني سلام peace (مرجع سابق). "القبيح" كان معروفا للدكتور عفارة وابنه لا يزال على قيد الحياة. وقد كان صديقاً مقرباً من عُمَر عبد.. المذكور أدناه. "آل حُسَين" هم مزوّرَة جِن حُسيَن. ويقع الضريح في موضع وفاته.
ومن قُدرات "القبيح" الأخرى: تأخير الولادة، أو حتى تثبيت الجنين في الرحم. ومِن وسائل ذلك أن توضع سحلية في زجاجة وتُدفن في الرمال. طالما بقيت السحلية في الزجاجة فإن الجنين يبقى في الأم، والتعويذة، أياً كانت، ستظل سارية. وهناك وسيلة أخرى يمارسها "عُمَر عبد.." تتمثل بوجئ (خنق؟) عنق طفل أسود صغير ودفنه في مكان سري. ويجب أن يفعل ذلك عارياً في منتصف الليل. وطالما لم يُكتشف شأن الطفل، فإن التعويذة تظل سارية. ويسمى الرجل الذي يقوم بذلك "رَزّاع" [في الأصل "زَرّاع" وهو خطأ طباعي[المترجم]] وتسمى التعويذة "رَزْع" [في الأصل "زَرْع" وهو خطأ[المترجم]]. يبدو أن هذا العمل يعد من السحر الأسود، عكس سحر الزار الأبيض، رغم غياب حدود واضحة بينهما. في يافع إذا أراد أحدهم العثور على أشياء قديمة، يجب عليه التضحية بديك أسود أو حيوان آخر أسود في الموقع المقصود، وإلا ستتحول الأشياء إلى حصى قبل العثور عليها. [المُراجعون للأصل]. [كان الرَزْع يُمارس في محافظة أبين على النحو التالي: يؤتى بكبش فيُربط بأسلاك وأشواك وإبر ومسامير ليتألم، ثم يُدفن حياً (يُرزع) في حفرة، ويعتقدون أنه بموت الكبش يموت الشخص المستهدف بالسحر. ومن قصص الرزع أن الناس اشتكت إلى سلطان العبادل من أذى ساحرة معينة، فقال السلطان من يأتيني بها له جنبية مشخصة بثمان أشخاص (ثمانية مشاخص). فذهب رجل لانتظار الساحرة في منطقة خالية تمارس فيها الرزع، فجاءت الساحرة ومعها الأدوات والبيض والكبش استعداداً لرزع أحدهم، فراقبها، وبدأت الساحرة بالطقوس وهي أن تتعرى وتقف في مواجهة الشمس، فقبض عليها وهي عارية وربطها، ثم سترها وبلغ السلطان عنها فتم إعدامها. – المترجم، نقلاً عن كبار السن من أقربائي].

[95] تعقيب ياسر علوان: "غير صحيح آل قبيح من رعية العقربي وليسوا عبيداً ولا خَدَماً، وإنما اشتغلوا بالرعي وتربية الماشية؛ وقبر "قبيح" موجود في فقم في بداية طلوع العقبة إلى فقم، خلف محطة البترول حاليا، وآل قبيح منتشرون في كل مكان، ابتداءً من الحسوة وبير احمد وكَود قرو وفقم والبريقة والخبوت من بير احمد حتى عمران" [المترجم].

[96] تعقيب ياسر علوان: "محمود طارش. هذا الشخص هو والد عمتي صافية، لكنها لا تتذكر ولم تسمع أنه فعل ذلك" [المترجم].

منظر عام لضريح القبيح

في كل مرة يُذكر فيها هذا الرجل [القبيح] يضحك القرويين ويعلو وجوههم الخجل. بعضهم قال إنها ستكون نعمة عظيمة لو أنني مهتم بإزالة هذه الأمور بالكامل. لكن هذا الموقف لم يمنع ترميمه الأخير. يزوره القرويون ويقدمون قرابينهم في الرمال بجوار البلاط، حيث من الواضح أن السرطانات البحرية تأكلها. وقد شوهدت بعض السِلال الفارغة ملقاة حول الضريح؛ ويبدو كما لو أن المشعوذ كان يعمل غالباً للشر، رغم إمكانية عمل سحر الحب من غبار الضريح، للتوفيق بين الزوج وزوجه وكذلك الجمع بين شخصين ليكونا حبيبين. ويقال إنه قادر على إيقاف الحليب في ضرع الأم، وأرى أنه متخصص في الشر أكثر من الخير.

وما يزال هناك القليل من مُختلف الشيوخ والجن والأعاجيب الأخرى في الجوار لذكرها بإيجاز قبل مناقشة التداعيات المحتملة للمعتقدات المذكورة. وأشير إلى أن ملاحظة أو اثنتان من الملاحظات التالية لا تتعلق بالضرورة بالموضوع العام هنا، وإنما أضيفت على سبيل التوثيق. وهذه القائمة غير مكتملة حتى بالنسبة لشبه جزيرة عدن.

الولي سيّد عُمَر الحَبَشي[97]:

ضريح محليّ مهم أصله حديث جداً، فبعض من حملوه إلى قبره ما يزالون أحياء يعيشون في البريقة.

أبو حَرْبَة:

يقع قبره بالقرب من الحِسوَة، وهو مجرد قبر مسطح على شكل درع على الأرض. وله "طبلة"[98] يقال إنها تعود إلى زمن سحيق، أهديت إلى الشيخ في "صور" خلال ترحاله. عندما كان بعيداً، شعرَ بالمرض فرمى حَربَته في الهواء وقال "ادفنوني حيث تسقط" فسقطت في الحسوة فدفن هناك[99]. لم أجد معلومات حول المكان الحالي لرمي الحربة. ويقال إنه إذا منح أحدهم هدية مالية للطبلة فيمكن حينئذ سماع صوتها من بعد أميال، عدا ذلك فإنها لا تصدر سوى ضوضاء خافتة. وقد شاهدتُ الطبلة ولكنني لم أجربها[100].

---

[97] ضريح السيّد عُمَر يقع بقرب بير أحمد. هناك بئر قرب القبر، وأثناء الاحتفال يقوم الخُدّام بسحب الماء الذي يجعلونه كله "ماء ورد". كما يأخذون حفنة من رمال الصحراء فيحولونها إلى سكّر ويعطونها للعامة. وهناك سيّد آخر على قيد الحياة، يأتي إلى الزيارة ويتسلّق بيرق السيّد عُمَر أثناء حمله [من قبل الناس] ويقف عند الهلال، ملوحاً ببيرق آخر. لاحقاً، يدخل إلى القبر ويأكل بعض الحلويات، ويسعل ياردات وياردات من الخيوط يربطها الناس حول مَرَافِقِهم. [المُراجعون للأصل].

[98] راجع حديث سيرجنت عن طبل وبيرق الولي، في:

Serjeant, R. B. (1986). "The ʿAwdhillah Confederation with some reference to al-Hamdānī", in: *al-Hamdanī: a great Yemeni scholar: studies on the occasion of his millenial anniversary*, ed. Yusuf Mohammed Abdallah. Sanʿā', pp. 101-103. [المترجِم].

[99] هذه الرواية واردة في: حمزة لقمان، أساطير من تاريخ اليمن، دار المسيرة، بيروت، 1988، ط 2، ص 182. [المترجم]

[100] يبدو بالأحرى أن القبر للحربة وأن الرجل لم يعد إلى بلده. هناك وصاية مشتركة لدى "سالم حاصَل" و "جامَع صُبي". الأول عاقل القرية، صانع نبيذ النخيل، ومسؤول الطبلة. يتعيّن على "جامَع" أن يأتي له سنوياً بقرابين الكباش إلى أبو حَربَة. إذا فشل في ذلك، فعليه أن يمشي ثلاث مرات حول النار في الاحتفال وفي نهاية الدورة الثالثة يسقط على النار (ولكنه يبتعد عنها سريعاً). صُنعَت الطبلة من خشب غير محلي، يبدو أنه مانجو. تُستأجر أحياناً لحفلات الزفاف، وعندما يحدث ذلك هناك في النهاية "رقيلة" كانتفاع من الطبلة، ويجب على جميع الحضور المشاركة. ويُقسم المال بين سالم وجامع، الأخير هو المنصُوب. يبدو على الأرجح من واقع كون خشب الطبلة غير محلي وكون الحَربَة من أرض بعيدة، أنهما مرتبطان أيضاً بالرياح الموسمية. [المُراجعون للأصل].

الشيخ أبو ريحان[101] صاحِب الوادي:

يقع قبره في عدن في الوادي خلف "مرشق"[102]. وقد عاش هناك أحد الأولياء في الوادي منذ زمن بعيد، فسأله مريدوه عن كيفية معرفة خليفته، فقال إن رجلاً سيأتي على قارب ويغسل جسده وسيأتي طائر أخضر يقف على شعره فذلك هو خليفته. بعد ذلك بقليل، جاء رجل حَبَشي وأصبحَ تلميذاً للولي، وعندما مات الولي اغتسل [الحَبَشي] وحدث كل ما تنبأ به الرجل الميت. وهذا التلميذ هو "أبو رِيحان" (يمكن ترجمة الاسم بمعنى: الولي ريحان الوادي).

سيدي هاشِم صاحب الشيخ عثمان[103]:

توفي في السنوات الأخيرة. وعما قريب سيكون شيخاً مهماً ويُحتفل بمهرجانه الأول بعد عيد الأضحى بأربعة أيام. يقول أولئك الذين عرفوه بأنه كان مولعاً بالمزاح في حياته.

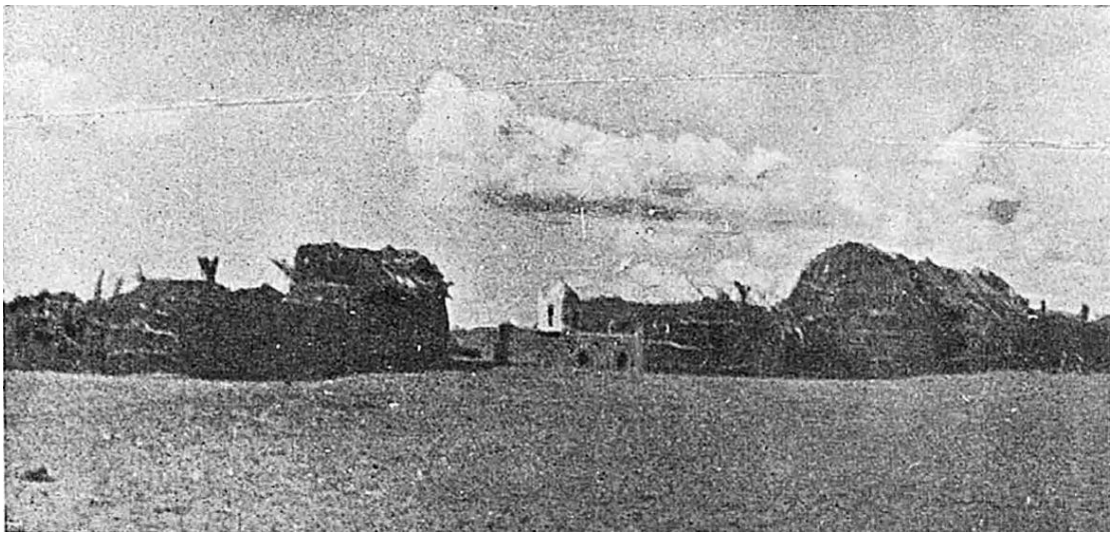

قرية الجِسوَة

[101] في الأصل "رِحان". للمزيد عن الولي ريحان انظر: الشرجي، طبقات الخواص (القاهرة، 1321)، ص 51-52. [المترجم]

[102] في الأصل "مُرشَج"، والتصويب من ياسر علوان "راس مرشق - معاشيق" [المترجم].

[103] يبدو أن سيدي هاشم استحوذ على "معنى" الشيخ عثمان، وتم تأكيد ذلك بواقع أن [سيدي هاشم] بدأ في بناء قبره خلال حياته (راجع ولي الغدير) ولكنه انهار مرة أخرى، حتى طلبَ إذناً لبنائه من الشيخ عثمان، وهو ما فَعَله في حالة "كَشْف". كان صديقاً للمسؤول السياسي حينئذ، وتلقى تشجيعاً، على الأرجح، ليولي أهمية للقرية الحديثة في موازاة للأخرى القديمة، حيث يقع قبر الشيخ عثمان.

الشيخ أبو علي:

له نفس منصب "أبو رِيحان". ولا يؤمن به سوى الصيادين. ويقع ضريحه عند سفح الطريق الصاعد إلى جزيرة صيرة، واحتفاله في موعد وصول أول التمور من البصرة.

عبدالله بن حَسَن:

هو "شيخ" مؤثر للغاية، قبره في الجانب العدني من لحج[104]. وهو لا يَحتمل مرور أي سلطان - من الأسرة الحاكمة- بجانب قبره، وإذا تجاسر أحدهم [على الاقتراب] فعليه الاحتفاظ بقدر ميل من البعد. وله صخرتان، لا يمر خلالهما إلا الأولاد الشرعيون، أما الذين كانت أمهاتهم خائنات فإنهم يعلقون بين الصخرتين حيث تنحصر أقدامهم. يقوم المنصب بإشعال نار من جذوع كبيرة وعندما تلتهب وتحمرّ النيران يقف عليها دون أن يحترق، ولم أرَ الموقع ولا المنصب.

السيد الشَريف بوبَكر بن عبدالله العيدروس العدني:

هو أكبر ولي في المنطقة، وله مسجد كبير ملحق بضريحه. ومعظم قصته زودني بها مشكوراً السيد محمد عيدروس بن سعيد عبدالله عيدروس العيدروس، الممثل الحالي للنسب. ومن المؤمل نشره لاحقاً بعد ترجمته بشكل صحيح، هو طويل وغير ذات صلة خاصة بالموضوع الحالي.

---

[104] يقع قبر عبدالله بن حَسَن في المحِلَّة. ولا يزوره السلاطين بأي حال من الأحوال. يقال إن ثمة أفعى عملاقة تعيش في السقف داخل القبر. وقد أشير ع للدكتور عفارة على مكانها ولكنه لم يرى سوى خيوط عنكبوت مغبرة أو ما شابه. ولعبدالله شقيق وَلي هو "سفيان بن حَسَن" في لحج. كان عبدالله خادماً لأجداد المنصوب الحالي. واكتشفت ولايته أو قدسيته عندما لوحظ أنه عندما يعود من البئر فإنه لا يحمل أوعية الماء، وإنما يسوقها سوقاً بعصاه وهي تمشي أمامه، وقد ذاع صيته. وفي أحد الأيام، تعهّد القبطان جوهر جامع اللؤلؤ الذي كان الماء يتسرب إلى سفينته وكانت على وشك الغرق أن يقدم للولي أفضل لؤلؤة إذا نجا. وقد توقّف التسريب [في السفينة] بأعجوبة، وعندما عاد جوهر وفّى بالنذر وقدم اللؤلؤة للولي. لم يجد سوى رجل فقير يحرث الأرض وقرر أن يغادر ثانيةً، ولكن عبدالله عَلِم برغبته، فقال لحث ثيرانه "حا أحرثي!" وعندئذ تلألأ الحقل بالكامل بحبات اللؤلؤ والأحجار الكريمة. فشرح القبطان نذره وقال له "ارمها بين البقية". الحَجَران المذكوران في صفحات سابقة ليسا له، وإنما لعُمَر بن علي صاحب الوَهْط. قيل إن حجرا عُمَر قد حَبسا فتاة مؤخراً، ولم تتمكن من النفاذ إلا بعد الكثير من قرع الطبول والشعائر والقرابين ونحو ذلك. الشيخ صلاح صاحب الوهط لديه أيضاً "فخ لأبناء السفاح" ولكنه من جذعا خشب. [المُراجعون للأصل].

باب جهنم[105]:

كان موجوداً على قمة جزيرة صيرة قبل بناء القلعة هناك ويقال إن الدخان كان يخرج منه. وأقسمَ نفس الرجل المسن الذي أقسمَ أن جميع الجن في عدن الصغرى كانوا من قصص العجائز؛ إنه شاهدَ خمسة جنٍ ناريين [أو من جِن النيران fire jinns] يقفزون نحو البئر عندما كان البريطانيون يبنون القلعة، وأن كل من ينكر رؤية ذلك كذاب، وأنهم كانوا بلون أبيض وأخضر وأصفر وأحمر وأسود، بالترتيب. ويقول كثيرون إنه إذا قام شخص بإنزال حَبل أسفل البئر فأنه يعود محترقاً[106]. قد يكون ذلك بعضاً من النشاط البركاني الطفيف الباقي من العصور الماضية، وقد عُثر أثناء الحفريات بالقرب من قرية الشيخ عثمان على مستوى نحيف محترق على عمق مترين من الطين، يبدو أن ذلك نتيجة لثوران بركاني ضعيف مؤخراً. وباب جهنم مذكور عند ياقوت [الحموي][107].

جن ذو خصائص مختلفة:

قبل قدوم البريطانيين إلى عدن، كان هناك جني على قمة "شِمسان" صَنَعَ شبكة وألقاها في البحر من هناك، وسحبَ سمكة. ويقال إن بالإمكان رؤية أثر الشبكة على قمة الجبل حتى اليوم. (أبلغني أحد الضباط عن وجود مذبح أعلى إحدى قمم شمسان مع درجات مؤدية إليه)[108]. رأس عمران (شبه الجزيرة البركانية غرب عدن الصغرى) مليء بالجن، خاصة الأجزاء التي تكوّن جُزراً عند ارتفاع المَدّ، لدرجة ألّا أحد يجرؤ على الذهاب إلى هناك بمفرده، إلا إذا كان من آكلي لحم الخنزير [بريطاني؟]. وإذا جازفَ رجل بذلك فإنه يسمع الجن تناديه (يا ن! يا ن!) [Oh N!]، وإذا أجاب، فإنه يؤخذ أو يسقط ميتاً أمام أعينهم. وتُسمَع أصواتهم في الليل في نحيب وعويل. ويشاع بأنهم بشعون وذوي أذرع طويلة جداً. وقد حملوا منذ نحو من خمس سنين رجل وعُثر عليه بعد

---

[105] [لم يذكر الكاتب الاسم المحلي، وإنما ذكره بالإنجليزية (The Door of Hell) فقد يكون باب الجحيم أو باب جهنم أو غير ذلك – المترجم]

[106] [قال بامخرمة في كتاب تاريخ ثغر عدن ص 14 **"بعضهم في زمن قريب من عصرنا أدلى فيها حبلاً فخرج طرفهُ محترِقاً"**؛ وانظر أسطورة قتل الشيطان الذي يسكن بئر صيرة في: حمزة لقمان، أساطير من تاريخ اليمن، دار المسيرة، بيروت، 1988، ط 2، ص 18 - المترجم].

[107] ربما يقصد الكاتب عبارة **"فلما بلغ إلى موضع يقال له دوزخ دره، ومعناه بالعربية باب جهنم"** (معجم البلدان 413/5) [المترجم].

[108] المذبح المقصود هنا هو بلا شك المعبد الزرادشتي، والمعروف باسم "معبد الصمت" أو "بُرج الصمت" [المترجم].

ثلاثة أيام على قمة الجبل[109]. ولا يخاف أهالي راس عمران منهم، لأنهم هم أنفسهم [أهالي راس عمران] من نسل الجن، فهُم "مُغادِش".

منذ حوالي 13 عاماً، ظهر رجل على الشاطئ بالقرب من فُقُم وشعره ولحيته [طويلة] حتى خصره وأظافره بطول ست بوصات وشعرُ عانتهِ حتى ركبتيه؛ كان مخطوفاً من قبل الجن مدة 15 عاماً في كهوف تحت الأرض. قال إن لديهم هناك كل ما لدينا، نساء وجِمال وكِباش وأشجار وغيول ولكن كل حيواناتهم سوداء وهم أنفسهم سود. وعندما كان سجيناً هناك علِمَ أنه عندما يقوم رجل [آدمي] باصطياد السمك يكون عنده جنيان، واحد داخل الشبكة والآخر خارجها، واحد يخيف السمك ليُدخِلها والآخر يخيفها ليخرجها. إذا كان الله مع الصياد يفوز الجني الخارجي، وإلا فإن المنتصر هو الجني الداخلي ويضيع الصيد. ويقال إن الرجل قد خُطف من منزله في الجِبال حيث كان هناك منذ عودته[110].

[109] في "راس عمران" منذ حوالي عامين، ذهب امرأة مع طفلها إلى الرمال، وفي غفلة من الأم اختفى الطفل ولم يره أحد من ذلك الوقت. يقال أنه اختطف من قبل جِن خطير جداً في شبه الجزيرة هذه. [المُراجعون للأصل].
[110] تعقيب ياسر علوان "لم أسمع بهذا الصياد، لكن سمعت بمثل هذه القصة منسوبة لصياد في منطقة راس عمران، وأخشى أنها توجد أيضاً في مناطق أخرى منسوبة لصيادين آخرين" [المترجم].

الاستمطار:

كان هناك "شيخ" في اليمن [الشمالي] دعا الله بالمطر. وكان دائم العزف على العُود، وزعم بعض الناس أن هذا أغضب الله؛ هاجمه أحد الشيوخ، فقرر أن يخوض تحدٍ. دعا الشيخ الآخر [المعترض، دعا بنزول المطر] ولكن المطر لم ينزل. ثم عزف الشيخ عازف العود ودعا الله فدوى صوت الرعد في سماء المنطقة وهطل المطر.

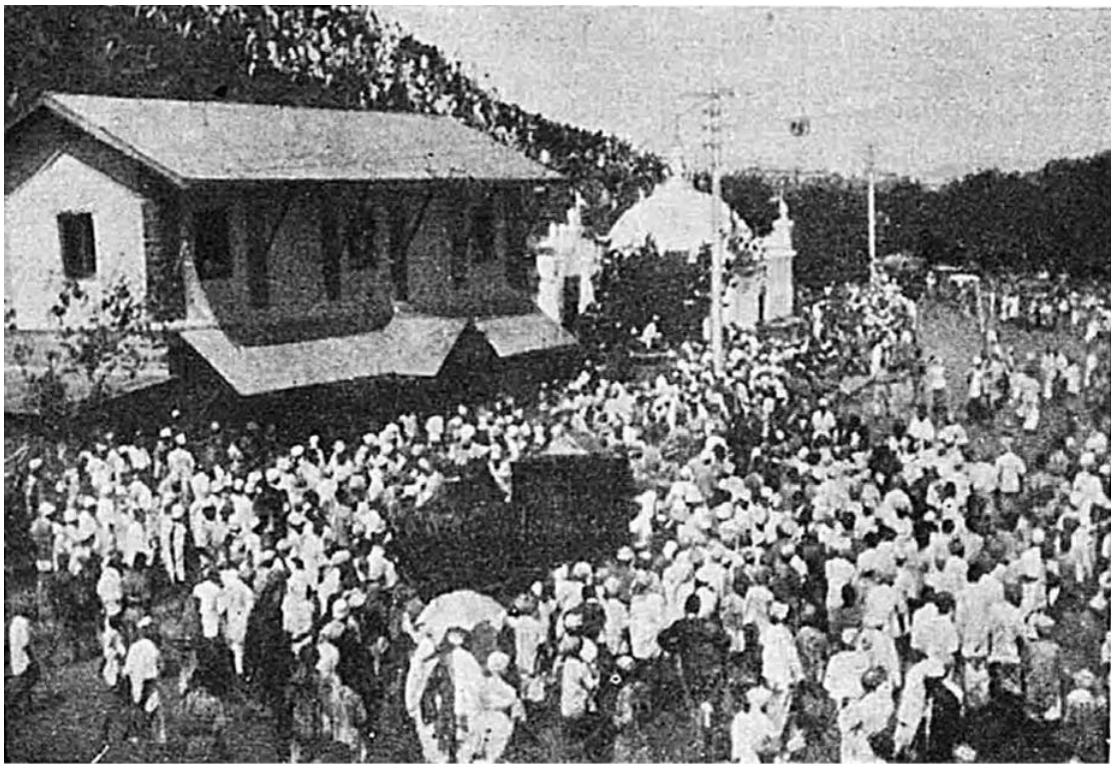

موكب الشيخ أحمد بن علي في التواهي

المحاكمة بالتعذيب:

هناك رجل يُطعِم المتهمين خبزاً يعلق في حلق السارق. وهناك رجل بقربة ماء يسلمها لكل شخص بالدور كي ينفخ فيها، وحين يأتي دور المذنب فإن القربة تفرغ هواءها فيه فتتورم بطنه ويعترف. وتوجد طريقة أخرى تتمثل بالجلوس حول مسمار يدق في الأرض ويلف حوله صندل عربي مشدود بخيط، وعند اطلاقه يشير الصندل إلى الشخص المذنب[111].

قصص أخرى[112]:

أخبرني الراوي، وهو صياد سمك، أن عمه كان يعرف الشيخ أحمد، وأنه كان ما يزال حياً عند وصول الإنجليز. حينها لم يكن يسكن التواهي سوى بضعة صيادي سمك، بينهما أحمد بن علي، وجَفّفوا شِباكهم على الجزيرة، حيث يقع مستشفى العَزْل. كانت "المعلا" بريّة ولم يعش أحد هناك، (راجع الصفحات السابقة، لكن الآن لم يعد بالإمكان دحض الأسطورة الأوروبية القائلة بأن المعلا هي أقدم ساحة لبناء السفن في العالم). جاء الحاكم (السيد ستيس Mr. Stace) وزوجته لرؤية كوخ الشيخ أحمد، وأمره الحاكم بإخلاء المكان، عندها وقعت السيدة ستيس ميتة "يابِس خلاص". فتعهّد الحاكِم أنه إذا أعاد زوجته إلى الحياة فسوف يترك سبيله. فعادت السيدة ستيس إلى الحياة، وقام الحاكم بنفسه بإعلان المكان مساحة محجوزة [حوطة؟] حيث يقع القبر حالياً. وأضاف الصياد أن المنصب الحالي هو ابن [المنصب] الأول. وتُجلَب "الكِسوة" سنوياً من السوق إلى القبر. في هذه المواكب التي تتم عادة عند قبر الشيخ، يدخل المجاذيب في نوبة جنون وأحياناً انهيار، فيُحمَلون إلى القبر لإنعاشهم. علي بن أحمد صاحب الشيخ عثمان هو ابن أحمد بن علي. وتوجد بئر ونخيل بجانب القبر. إذا شعرت بالمرض عليك أن تغتسل بماء البئر، أو تَربط أجزاءً من سعف النخل (يسمى عزوف) حول المِرفق. يعيش جني في سعف النخل وهو خادم "علي". الشيخ فرح صاحب الـ"عَبيد" ضريحه يقع داخل منزل، في قرية الشيخ عثمان (الجديدة). ويحمل الراقصون سنوياً

---

[111] يمارسون [أيضاً] المحاكمة المعروفة باستخدام حديد ساخن [البَشْعَة]. وهناك طريقة أخرى تتمثل بجلوس جميع المتهمين على شكل دائرة وفي منتصفها يقوم "القاضي" بتدوير مسمار حديدي كبير على الأرض، مرة بعد أخرى. ثم يُطلب من جميع المشتبهين النهوض ولكن اللص لن يستطيع ذلك، فقد تم تسميره إلى الأرض.
Capt. F. M. HuNTER, An Account of the British Settlement in Aden in Arabia (London, 1877)
يزودنا بوصف لثلاثة عشر زيارة في كريتر (عدن) وأخرى في Steamer Point (التواهي). وهو مثال جيد عن الخلط في قصة رويت لي عن هذا الأخير.
وقد أشير إلى أحمد بن علي صاحب "التواهي" في [كتاب] أبو مخرمة، تاريخ ثغر عدن، وقال إنه توفي في حوالي 563 للهجرة. [المراجعون للأصل]

[112] [هذه الفقرة ملحقة على المقالة في الهامش السابق (رقم 109)، نقلناها للمتن للأسباب فنية تتعلق بطولها – المترجم].

"طَمبُورَة" إلى موضعهِ بواسطة العبيد. ويقال أن "العَبيد" هم عَبيد [مملوكين] من عبيد أفريقيا الحديثة، و"الأخدام" هم أحفاد الطبقة العُليا من الغزاة الأحباش، و"الحجور" هم عبيد هؤلاء الأخيرين. "دار الزَمار" هو زعيم جن الشيخ عثمان. يلتقي جميع القادة [الجن] في "المزار" في باحة القبر. ووصفَ الراوي أن "دار الزَمار" طاردهُ في عام 1914. كان عائداً من السوق وبيده بعض الحلويات عندما فوجئ برؤية عمود أسود عظيم من خلفهِ بارتفاع حوالي 12 قدم، فبدأ في الركض. كان يعلم أن جنياً يلاحقه لأنه كان يسمع قعقعة سلاسله، وأدرك أن الجني يريد الحلويات، فرماها وهرب. ولمّا دخلَ القرية سألته عجوز "هل حصل دار الزمار على الحلويات؟" لأنهم [الأهالي] سمعوا قرقعة السلاسل وفهموا معنى ذلك. نفس الراوي ادعى أنه شاهد في إحدى الليالي "عُمر عبد" واقفاً بعد المطر عارياً وسط 300 جني. وعندما أدركَ "عُمر" أنه أحداً قد شاهده، اختفى هو وجميع الجن، عدا جني واحد مسن له لحية طويلة كان يعرج على عصا. يقول الراوي أنه طارده آملاً في الحصول على مالٍ كثير، ولكني الجني غَطسَ في بركة من مياه المطر واختفى. وفي اليوم التالي عندما ذهب الراوي للشراء، التقى بأحد "السادة" وقال له السيد "لماذا تدخّلت؟ لقد سببت مشكلة بين الجن، 7 منهم مرضى. خذ 7 بيضات، ولطّخ 4 منهم بالسواد، وعد إلى الموضع الذي شاهدت فيه "عُمر" وأرمِ الأربع [البيضات] السود على كتفك دون أن تلتفت، وألقِ الثلاث الباقية في البِركة، ففعل ذلك. كما روى هروبه مرتين من الجنيّات، ويعود الفضل فيها إلى خياله الخاص. في واحدة من المرات، استطاع أن يميّز جنية ترضع طفلها، لأن ثديها كان متدلياً حتى الأرض. وفي قصة أخرى ظهرت له جنية تطلب منه الجِماع، كانت بمظهر امرأة تماماً، بملابس ومجوهرات وحليّ امرأة، ولكنه عندما لمس ذراعها وجدها كالصوف القطني، فعرفَ أنها جنيّة، فشّدَّ شعرها وهرب. بعد وقت قصير، قبضَتْ [الجنية] على رجلين، أحدهما ما يزال يعاني من نوبات [صَرَع] من ذلك الوقت، والآخر أصيب بالجنون وتوفي بعد 8 سنوات. مؤخراً، وبالقرب من الموضع الذي شاهد الصيّاد فيه عُمر مع الجن، في باحة المستشفى، كانت هناك جَلَبَة شديدة في الليل، [حينها] تم إحضار رجل للعلاج وكان مغطى بالخدوش؛ وبشهادة عدد من الشهود بما فيهم رجال الشرطة، فقد سمعوا صوته يتعارك في الغرفة (والتي نوافذها مغلقة) فدخلوا ووجدوها فارغة. وصفَ الرجل عراكه مع جني. عندما يحفر أهالي "يافع" بئراً جديدة، فإنهم يبنون عموداً من حجر ويوضع فوقه لوح. ثم يتم إحضار طفل وَحيد أو بِكر والديه، فيتم إنزاله بحبل تحت إبطهِ حتى بلوغ قاع الماء. قال الراوي (وهو محل ثقة كبيرة) "عندما لا يكون الطفل سبّاحاً ماهراً، فإنه يغرق، عندها يجب العثور على آخر". قبل بضع سنوات حاول أحد أكثر المواطنين احتراماً في عدن تجريب هذه الطقوس بحثاً عن النفط [كذا] في خورمكسر، ولكن تم

إيقافه في آخر لحظة. (كان الموضع مِملاحاً وبه براميل). طقوس البئر هذه مثيرة للاهتمام بشكل خاص، لأن أحد أصدقائي تم إخباره منذ سنوات عديدة أن في جنوب فلسطين عندما تُحفر بئر جديدة، يقوم المالِك بشراء صبي من أحدهم من عائلة كبيرة بمقابل 60 إلى 70 يورو، ويرميه ليغرق [في البئر]. إن أضحية بشرية كهذه في الأرضي المقدسة تبدو أمراً يصعب تصديقه، وربما كانت القصة مجرد ذكرى شعبية، ولكن من الواضح وجود تقليد عربي للتضحية للبئر، وهو أمر مفهوم في مثل هذه الأرض.

استنتاج:

قد تكون البيانات المقدمة أعلاه ناقصة، ويبدو أنه من المفيد تقديم تعليقات مبدئية، مع ضرورة التنبيه إلى كونها افتراضية وقُدِّمَت بنقص كبير بسبب غياب الكتب المرجعية.

أول احتمال ظاهر الوضوح هو حضور مرحلتين أو ثلاث مراحل من الدين؛ تم دمجها بنجاح طالما لم يكن هناك تدخل لتأثير الوهّابية المتزمتة لزرع الشك في عقول الناس. ففي القمة لدينا الإسلام، وموقع "الله" بالنسبة إلى الأرواح الأخرى ربما يجوز مقارنته بمكانة الحاكم بالنسبة للـ"عاقِل"، بالطبع الله أكبر بما لا يمكن قياسه، ويحظى باحترام ويملك قوة أكبر من الجميع، ولكنه بعيد المنال بنفس القدر.

ومع ذلك [في المستوى الثاني] هناك رجال أظهروا قوته من خلالهم أثناء حياتهم، وبعد مماتهم؛ أرواحهم أقوى من أي روح أخرى، وهي في قريبة وفي متناول اليد أكثر من الله نفسه.

وفي المستوى الثالث هناك الجن والجنيات، الذين على الرغم من قواهم الأقل وخيرهم الأدنى بكثير وبالتالي يحظون باحترام أقل، فإنهم قريبون جداً من الناس ويمكن رؤيتهم والتحدث إليهم وحتى أمرهم، وبالتأكيد رشوتهم.

والخط الفاصل بين "الشيخ" والجني رفيع، وقد نجح تحويل الجن إلى خدّام للشيخ في ضمّ الجميع تحت لواء دين واحد، لا تعارض بينه وبين الدين "الرسمي" في أذهان هؤلاء الناس.

كثير من الأمور واضحة إلى حدٍ ما، ولكن عندما نختبر الجنّ فإن الأمور تتعقد. أقترح أننا أمام بقايا دمج مبكّر بين الدين "الرسمي" لعهود الوثنية والسحر في العصر الحجري، والذي ربما لم يكن مختلفاً تماماً، باستثناء واحد ملحوظ. وهذا الاختلاف هو أن السِحر ينتمي إلى الفترة الأمومية والطوطمية من التاريخ العربي، في حين أن الديانة الوثنية الرسمية تنتمي إلى الفترة الأبوية. ويبدو أن ثمة بقايا قوية هنا من فترة السِحر والطوطمية القديمة.

ودعماً للاقتراح الأخير، يمكن الاستشهاد بالنقاط التالية:

أ- تواتر المنصوبات – الكاهنات.

ب- حقيقة أن كثير من الأرواح هم أنفسهم من الإناث.

ت- وراثة القوى الروحية من خلال تسلسل النسب الأنثوي في بعض الحالات كما في حالة "الحَجَّرَة".

ث- أسطورة التحوّل في "فُقُم" التي تذكر إثم الناس العظيم بجهلهم الحلال من الحرام ونومهم مع محارِمهم. يشير روبرتسون سميث (المرجع السابق) إلى زيادة كبيرة في درجات صلة القرابة المحرمة عندما حدث الانقلاب من النظام الأمومي إلى الأبوي، وأنه خلال المرحلة السابقة كان الرجل لا يعدّ المحارم سوى أمه وشقيقته[113]. وعليه أقترحُ أن تعميم درجة سِفاح المحارم في فقم إلى درجة الأمهات مبالغ فيه، وأن الآثام لم تكن ضد الإسلام بقوة، وإنما ضد النظام الأبوي[114]. ونلاحظ غياب ذِكر الوثنية أو إضافة آلهة إلى الله، وهو الإثم الأعظم في الإسلام. والحجرتان في ضريح "عبدالله بن حسن" اللتان تخبران عن شرف والدة الزائر ربما تكونان عائدتين إلى فترة ظهور النظام الأبوي، رغم أن كراهية الأرواح لـ "السلاطين" قد تشير إلى أنها تنتمي إلى فترة أبكر. (لا يعني هذا أن هاتين الحجرتين بعينيهما أو حتى الضريح ذاته - والذي قد يكون تحديث للقديم المفقود- من تلك العصور القديمة. ومن الواضح أن المكان يحتاج دراسة.)

ج- يمكن مقارنة التودد السري إلى "معجز" إلى كبير بالزواج في ظل النظام الأمومي، عندما كانت المرأة تمتلك المنزل[115] والزوج أو الأزواج يزورونها، أحياناً مؤقتاً وأحياناً أخرى بشكل دائم أو شبه دائم[116]. إن مغزى أسْرُ الزوج وسجنهِ غامض، ويحتمل أكثر من تفسير.

---

[113] يتكرر ذكر سفاح المحارم في الزمن القديم في كتاب "قصص الأنبياء" للكسائي: **"وألقى الله على الغلام الشهوة حتى واقع اخته ... ووطى كل أخ منهم أخته"** ص 102. ويقول في ص 82 واصفاً ذرية آدم **"وكان النفر منهم يجتمعون على المرأة فيزنون بها ... يزنون بالأمهات والبنات والأخوات"**، وفي ص 88 واصفاً قوم نوح: **"ثم يواقعون النساء مثل البهائم من غير ستر ولا حجاب"** [المترجم].

[114] ومع ذلك لا يمكننا أن نتجاهل احتمال كون الأشخاص المعنيين كانوا قرامطة، من أتباع علي ابن فضل الأهضني، الذين بدأوا بالدعوة قرب عدن. كان يشرّع نكاح البنات والأخوات، ويكرر ذلك شعراً من على المنبر. تم تسميمه في عام 303 هـ ، "وقُتِل العديد من أتباعه وعائلته وبعض أفراد ممن اعتنقوا مذهبه، وذلك بمجرد أن تمكّن منه أسعد ابن إبراهيم ابن يَعفُر فقَتَلَهم. (Henry Cassells KAY, Yaman, Its Early Mediaeval History, etc., London, 1892 مقتبساً عن: أبو عبدالله بهاء الدين الجنيدي).

[115] يتحدث النقش السبئي YMN 19 عن امرأة عمّرت بيتاً لبعليها، وقُرئ اللفظ بمعنى "زوجيها" وعد النقش دليلاً على وجود تعدد الأزواج في اليمن القديم [المترجم].

[116] تعقيب ياسر علوان: "هذا ما تأكد لي ان المرأة كانت هي الأساس، وكانت هي صاحبة البيت (عشّة من حصير وبقايا خرق أو شِباك صيد قديمة أو أخشاب). كان العريس يتزوّج إلى بيت العروس وكان متنقّل للصيد، في حين هي التي تدير كل حياة الأسرة والأطفال، وهو فقط شاقي [أي عامل، كادِح]، لهذا كانت فترة غياب الزواج يتخللها الكثير من الزِنا والعشق العميق" [المترجم].

أما ربط البيانات بنظام الطوطمية فهو أكثر تشظياً، وهذا هو المتوقع بشأن موضوع اختفى من أزمنة سحيقة، ولكن من المثير أن نلاحظ التالي:

1. القبيلة التي تحكم معظم "رعية" القبائل التي ينتمي إليها الجن يدعون "عقارِب" أو "عقربي" بمعنى عقرب.
2. إحدى قبائل الرعية تدعى "جِعلان" أي جعران[117].
3. المنصوبة الزعيمة تدعى "جـوحُـلَـة" وهي كلمة مرتبطة بالسُم أو اليعسوب أو السحلية أو الجعران. لا شك في أن المزيد من البحث في الأسماء القبلية المحلية سوف ينتج عنه المزيد من الأدلة حول هذا الموضوع والمسائل الأمومية.

وهناك ملاحظة مهمة بأن العقارب أنفسهم رغم امتلاكهم لاسمٍ طوطمي، لا تبدو لها في العموم أي علاقة بالجن. قال لي الرشيدي "ماذا عساهم أن يفعلوا مع الجن؟ إنهم سلاطين". هذا الأمر آخذين بالاعتبار كون الأضرحة بأيدي قبائل "الرعية" يشير إلى أننا نتعامل في هذه المنطقة مع ديانة أناس تم احتلالهم في زمن مبكر للغاية، ربما مجموعة أمومية أحتلتهم أخرى أبوية، حيث انهزم السحرة من قِبل "الوثنيين". وهناك ربما مؤشر آخر على التاريخ المبكر للمعتقدات نجده في جن "الكُـعـبَـيـن". اقترح روبرتسون سميث إلى أن "اللات" كانت في الأصل الإلهة الأم وأم "الله" ولم تتحول إلى ابنته إلا عندما تغيّر النظام الأمومي إلى أبوي. خلال بعض الحفريات التي قام بها السير روبرت موند في بروتاني [شمال غرب فرنسا]، تم العثور على قبر مغليثي مغطى (*Allée couverte*) حيث حملَ الحجر العلوي نقشاً بسيطاً لثديين وكان هذا يمثل الإلهة الأم.

من ناحية التحليل النفسي، هذه الأشكال الطفولية من الإيمان تدعم نفس الفرضية العامة. نوع الجن في قصة "شمسان" أو "علاء الدين" هي خيال بسيط، تمت عقلنته جزئياً من خلال ظواهر طبيعية، مما يدل على نزعة نحو إضفاء أبوية على الأشياء. إن حبس "معجز" هو النظير الطبيعي لمثل هذا الخيال، عندما كانت الأم تحكم الأسرة والقبيلة وكانت هي القوة الحقيقية الوحيدة في حياة الطفل المبكرة. مثلما ترتبط "عبادة الأم" طبيعياً بالأمومة، كذلك يمكن أن يرتبط "السحر" بـ "عبادة الأم". ويحتاج مستوى "الآلهة الأم" في عنصر "الجنيات" إلى اختبار مسهب، ومزيد من معرفة الناس عن قرب. لقد ذَكَرنا "كُـعَـبَين" بالفعل ولعل القارئ يلاحظ الأثداء الطويلة المتدلية عند "معجز" و "الضَرِبَة"، وهي ظاهرة شائعة عن الآلهة الأم البدائية. وتحتاج الطقوس المتعلقة بخصوبة المرأة إلى دراسة.

[117] أفاد ياسر علوان بوجود عشيرة الجعلان في الحسوة والمهرام حتى اليوم، إلا أنه أنكر تفسيرها بالجعران [المترجم].

وتجدر الإشارة إلى أن الهدايا المقدمة إلى جن البحر لتشجيعهم على جلب كميات أفضل من الأسماك يمكن اعتبارها موازية تماماً للهدايا المقدمة للآلهة الداخلية [في البر] لجلب محاصيل وعوائد أفضل من القطعان، أي الخصوبة.

هناك مؤشر آخر على الطبيعة البدائية للمعتقدات يظهر حتى في حالة أحدث كما في الشيخ سعد، الذي لا يحصل على أضحية إلا في حالة كانت غلة السمك جيدة. يستدعي ذلك إلى الأذهان وصف وايت ملفيل (Whyte-Melville) في [رواية] "تايبي" لسكان الجزيرة الذين يوسعون إلههم ضرباً لعدم مساعدته لهم[118].

إن الطبيعة الوثنية الصِرفة لمذابح القرابين بادية للعيان، وكذلك الطابع غير الإسلامي للرقص "المختلط". لكن الغامض هو سبب استقامة هذه الاحتفالات [أخلاقياً]، بما فيه من عقوبة للمخالف من قِبل الجن. قد يكون ذلك نتيجة عملية التطهير المنتمية إمّا إلى دخول الإسلام أو إلى النظام الأبوي.

تشير استمرارية توليد الآلهة من أرواح الأحياء، كما في حالة "القبيح" وبدرجة أقل "سيدي هاشم" إلى استحكام الطبقة القديمة من المعتقدات على الناس.

يمكن وصف قصة حبس "معجز" بأنها تحوّل حورية بحر (nymph) إلى حورية شجر (hamadryad) وقد يكون لها بعض الدلالات القديمة. هل تعبّر عن التغيير الذي طرأ على القبيلة من صيد البحر إلى صيد البر؟ هل هو تبني إله ما من قِبَل قبيلة صيد برّي غازية؟ يجب أن نتذكر أن [قبيلة] الهِنَيدي لم يصبحوا صيادي سمك (حصراً على الأقل) إلا مؤخراً؛ ويبدو من الأدلة الهزيلة المتوفرة أنه كان هناك فترة مؤقتة بعد مرحلة "جامعي الأحياء البحرية"، مورس فيها اصطياد السمك.

وفي ظل معلوماتنا الناقصة، لا يمكن أن تكون هذه التساؤلات سوى مؤشرات للبحث. وسيكون من المثير للاهتمام أيضاً معرفة العلاقة بين [قبيلة] الهِنَيدي والهِند، فالاسم يعني "الهِنديّ"[119].

لقد تسبب ضيق الوقت نتيجة ظروف الحرب بالاكتفاء بقليل من الأمثلة المتعلقة بالفرضية الشيقة التي تثيرها. ولعلنا نتخيل أن البحث المستفيض فيما وراء البحر الخلفي للمحمية - بعيداً قدر

---

[118] يشبه ذلك روايات الإخباريين المسلمين عن سلوك أحد عرب الجاهلية ضد الصنم "ذو الخلصة" حين لم ترضِه نتيجة "الاستسقام بالأقداح" فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم (جواد علي 53/6) [المترجم].

[119] تعقيب ياسر علوان: "شائع بين الناس هنا في فقم أن قبيلة الهنيدي هم هِنَّيدة أي هنود.. وكما لاحظتُ أنا، ففي ملامحهم وسامة وشعرهم مُسترسل ناعِم وطويل (هِندي)، قد يكون أصل جدهم الغابر من الهند.. ومِن أسر الهنّيدة في فقم: "شنب"، و "رامبو" و"قنن"." [المترجم].

الإمكان عن رجال الدين - سيؤدي إلى نتائج بالغة الإثارة والأهمية. لم يُكتب سوى القليل عن الطبيعة البدائية لهذه المنطقة المسكونة غالباً بالبرابِرَة. لطالما كان الكتّاب المشهورون في هذه المنطقة حريصين للغاية على التلميع السطحي لحضارة السادة - تلك الطبقة الوحشية والقاسية إلى حد كبير - متجنبين رصد أو حتى ذكر الناس البسطاء كما هُم. أسطورة الرجل العربي النبيل - المستندة على تواصل مع شعوب تبعد آلاف الأميال شمالاً - شوّشَت الحقيقة عن أناس أكثر روعة واختلافاً وتنوعاً. يختلف صيادو المستعمرة الموصوفون هنا عن قبائل يافع، كاختلاف فلاحي لبنان عن بدو الرولَة.

وأخيراً، لعله لا يخرج عن سياقنا لو تحدثت عن لطف وكرم هؤلاء الصيادين، إذ أنهم المسلمون الوحيدون الذين قابلتهم (بعيداً عن المتأثرين بالغرب) الذين يمكن التواصل معهم على أساس عائلي، كما عند أتباع الأديان الأخرى سوى الهندوسية والإسلام. والكرم الاستثنائي أمر معهود من العرب، سواء أكانوا مسلمين أم لا، ويمارسه جميع المسلمين، ولكن هناك دائماً حاجز كان غائباً عند هؤلاء الصيادين. عادة ما لا يظهرون - حتى هنا - نفس الثقة تجاه الآخرين الذين لا يعرفونهم جيداً، أما في مناطق أخرى فإنهم لا يظهرونه حتى لأقرب أصدقاء المرء.

وهنا نجد ذلك العيب الشائع عند جميع العرب، والمتمثل في دَفْع أي تجمع سكاني يجتاحونه نحو أقرب صحراء في أقرب فرصة، نجده واضحاً هنا من خلال تاريخهم في عدن الصغرى. فسلوك الأهالي الحر اللطيف يتلاشى تحت تأثير السادة والفقهاء الشماليين، وللأسف يبدو أن مسلمي الجنوب يرضخون لمسلمي الشمال القادمين من البيئة الأكثر تشدداً.

لذلك ولأسباب أخرى، أود عندما يتطور هؤلاء الناس [حضارياً] أن تجري ملاحظتهم بعناية فائقة، وتحقيق ذلك سيجعل البيانات في متناول اليد. وعموماً، في الوقت الحالي، لا يعد الوارد في هذه الورقة شيئاً يذكر على الرغم من أن بجعبة هؤلاء الناس الكثير، وقريباً سوف يرحلون أو يموتون.

إن وجود تمويل حكومي لبعثة أنثروبولوجية مؤهلة أو رحلات استكشافية إلى مناطق مختلفة من المحمية (والمستعمرة) هو مشروع سيحقق فائدة كبيرة في إعادة التنظيم مستقبلاً. حيث تشير السرعة التي ينحو بها الشرق الأدنى والعالم إلى أن إعادة التوزيع قد تفرض نفسها فجأة على السلطات قبل أن تكون جاهزة، ولعل التخطيط يكون [حينها] مرتجلاً دون بيانات كافية. وهذا لا يعني التشكيك في العدد القليل من الإداريين الأكفاء للغاية، ولكنهم مرهقون بالإدارة إلى حد كبير، ليس لديهم الوقت ولا التدريب الخاص لإجراء البحث العلمي. وعلاوة على ذلك، فإنه يكاد يستحيل

على أي مدير، لديه ميل مسبق نحو نظرية حكومية ما، أن يكوّن وجهة نظر محايدة كالتي يتمتع بها باحث أكاديمي خارجي.

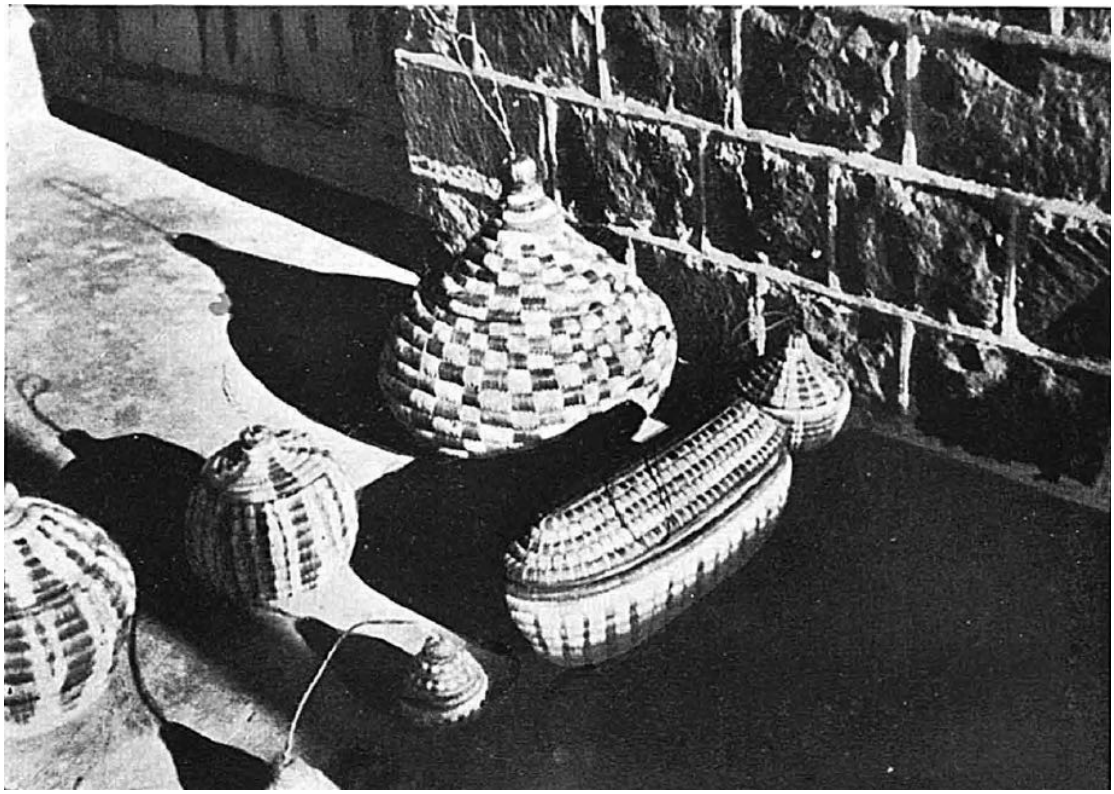

سِلال

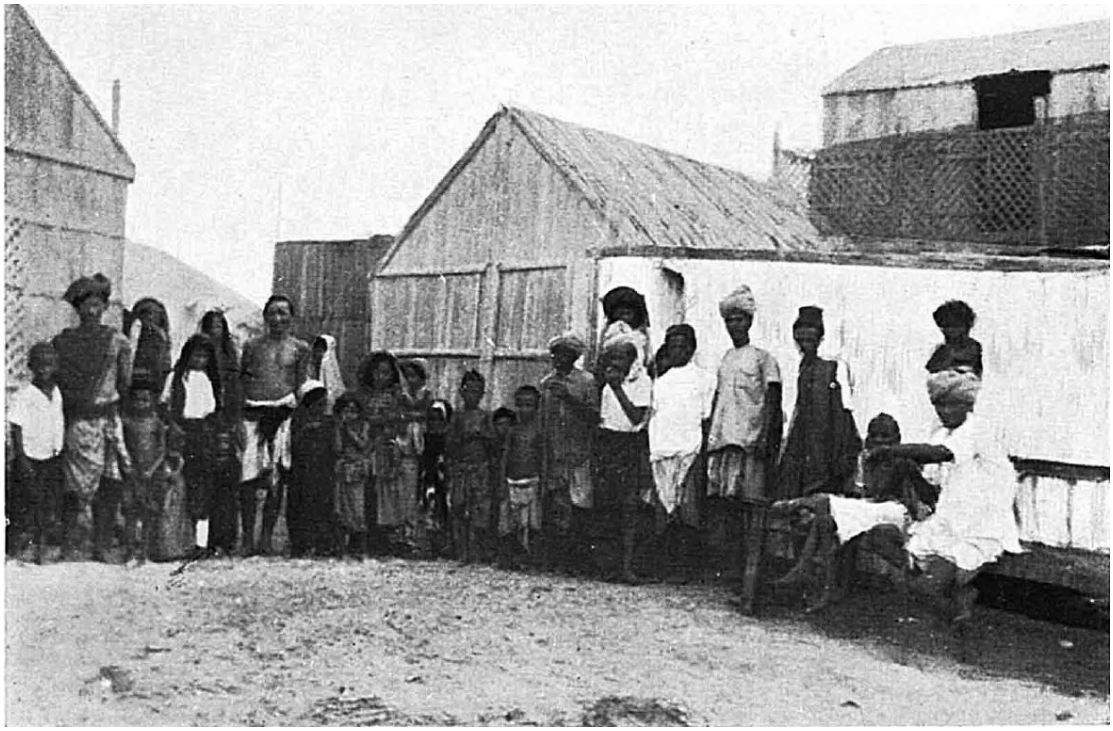

عاقل فقم خارج منزله مع بعض القرويين

البنية الفوقية لقبور الكفّار في فقم

أوليفر هـ. مايرز
عدن 3 ديسمبر 1944.

ملحق الترجمة العربية:

إضافات قدّمها ياسر علوان:

الولية أو **الجنية سُمَارَة**، تقام لها زيارة وتقع وسط قرية عمران ومبني على قبرها شكل مربع من البُلُوك [الطوب] والاسمنت؛ المنصوب [الخاص بهذه الجنية هو] حيدرة بن قايد البُـليـبـل، وللنساء منصوبة [اسمها] مريم بنت ناصر محمد. أفادت امرأة عجوز أن سمارة ليست جنية وإنما هي موقع أمضى فيه بعض الصالحين ليلة (سمروا) أثناء سفرهم للحج، ثم قام سكان المنطقة بتحويط المكان وتقديسه، وبنوا فيه ضريح وهمي. يتخيل بعض الأهالي أن سمارة هو قبر جنية وترتبط عادة بالنساء والخصوبة، حيث تذهب إليها النساء العقيمات أو المقبلات على الزواج إلى سمارة للحصول على الولد. وحدثنا أحد سكّان عمران أن أغلب المريضات هنّ من ريف لحج وأبين وكان أحد مناصيب سمارة في الفترة الأخيرة سيئ السمعة، وكان يعرف أن العقم سببه الزوج، لذا كان ينفرد بالمريضة لعلاجها خلف صخرة بعيدة، فيضاجها ليهبها طفلاً مِن كرامة الولي، وبعد تسعة أشهر تحمل المرأة منه فتقدم النذر للولية [سمارة] وهذا النذر يذهب للمنصوب أيضا، وقد هُدِم الضريح عام 1994 مع غيره من الأضرحة في تلك المنطقة.

هناك جبل صغير يقع في البحر قرب ساحل راس عمران على بعد حوالي 200 متر ويتصل بالساحل بلسان رملي بفعل تعرية الأمواج والترسيب، وهذا اللسان يغمره البحر في فترات المد ولا يكاد يُرى وينحسر عنه الماء أثناء الجزر فيظهر واضحا ويمكن السير عليه من الساحل إلى الجبل[120] وفيه **الجني أبو شملة**[121] الذي يقال أنه يتخطّف كل من يحاول عبور الممر، إلا إن كان الشخص سيداً أو صالحاً أو أصحاب القرابين. وعندما يأتيه الزائرون المعتقدون به ينادون: **"واا أبو شَمْلَة خاطرك الي قسمت البحر نصيَن"**، خاطرك أي تعني تعاليت وتجبرت أو جلالتك" [سبحانك؟]، "الي قسمت البحر نصين" أي يا مَن قسمت البحر نصفين، وذلك لأن الناس تتخيل أنه يقسم البحر نصفين مع ظهور ذلك اللسان البحري، فالأهالي يعتقدون أن هذا الجني هو الذي يفصل البحر؛ وكان بعض السادة يقبرون موتاهم في ساحل رملي صغير في هذه الجزيرة (مثل آل صادق – جدهم الأول جاء من حضرموت تزوج وخلف ومات فدفن هناك). والبعض يقول أن أبو شملة ليس جني وإنما هو شخص خرجت جثته من البحر في شَمْلَة (كيس خيش)، فدُفِن هناك.

---

[120] إحداثيات الجبل: 12°45'00.12" 44°44'39.38"

[121] في محافظة أبين يوجد ضريح لولي يدعى "أبو شملة" أيضاً.

ويوجد أيضاً **جني الفرس** في راس عمران ولم أجد معلومات عنه. وكذلك يوجد جني في رأس جبل آخر يدعى **"محمد بن علي"** أو "محمد بن عُمَر". وكانت هناك زيارة لولي مشهور يدعى **"أحمد القطّاع"** له مجاذيب وذبائح ويزورنه الناس من أماكن بعيدة، وقصته انه من السادة ومات في الصحراء فصنع الناس له ضريح وزيارة، وكنت زيارته لا تخلوا من سلوكيات شائنة.

زيارة السيد يونس:

زيارة السيد يونس استمرت إلى نهاية الثمانينيات. وبعد التسعينات قام أحد الأهالي بإحياء هذه الزيارة، فباع أرضية كبيرة في عام 1993، واستأنفها لكنها لم تلبث أن توقفت. وكانت من فعالياتها: الكسوة، وهي قماش من الحرير يكسونه على هيكل خشبي بنفس حجم القبر، وذلك بعد أن يمشون بالكسوة لمسافة طويلة برفقة البيارق، فيحملون بيرقين اثنين أمام الكسوة، مع وجود الطبّالين وشعراء، يتوقفون قليلاً ثم يواصلون المسير وهكذا لمدة حوالي ثلاث ساعات حتى يصلوا إلى القبر ويكسونه بالكسوة. وفي صباح اليوم التالي يخرجون البيرق ويمشون به بنفس الطريقة (برفقة الشِعر والطبل) حتى يصلوا إلى ساحل البحر، عندها يقوم أحدهم (يدعى صالح البيحاني) بأخذ البيرق ويدخل به البحر، حتى يصل الماء إلى رقبته، ويقولون حتى يبلغ الموضع الذي غرق في الولي، فالوالي غرق بقرب الساحل، ولا أعرف تفاصيل غرقه، فيصيح هناك ويرفع البيرق في البحر، ثم يعود. يدّعي الناس أن حامل البيرق سيخرج الآن من البحر يابساً، ولكنني أراه مبلولاً، ولا أدري كيف لا يرون ذلك! ربما كانوا يبالغون. بعد ذلك يعيدون البيرق إلى الولي.

وآخر الفعاليات هي المكريب وتكون في الليل، بعد العشاء يشعلون جذوع بعض الأشجار حتى تتحول إلى جمر، ويقومون عندها بحركات على إيقاع الطبول ويمشون فوق الجمر إلى أن ينطفئ، فهذه هي الفعاليات.

أثناء أيام الزيارة يأتي باعة متجولون، وهناك من الباعة مَن يجاولون، نطلق على الواحد منهم "مْجاوِل" وهو شخص يحضر طاولة فيها أرقام من 1 إلى 6 وقطعة زَهْر داخل علبة، ويقوم مجموعة من المتبارين بوضع نقود في العلبة، ويلعبون بالزهر، ويأخذ الفائز كل ما في العلبة تقريباً، ويكون هناك فائدة لصاحب الطاولة، وبعض المجاولين لا يمنح الفائز نقوداً وإنما يعطيه سلعة معينة، مثل أكواب أو صحون زجاجية وما إلى ذلك.

إضافة ذكرها الباحث اليمني أحمد الجبلي:
"ومن تجربتي العائلية، كان في منزلنا، في قرية الحسوة في محافظة عدن، حجرة مميزة في شكلها، كان البعض يقدم النذور لها عن طريق والدتي. كذلك الأمر مع جدتي التي كانت لها حجرة

خارج منزلها، تقع بين مجموعة من أشجار النخيل، وأيضاً كان البعض يقدم لها النذور عن طريق جدتي. وكان لكل حجرة اسم تُعرف به. وقد استمرت حجرة والدتي وحجرة جدتي رحمهما الله إلى مطلع السبعينات من القرن العشرين"[122].

[122] الجبلي، أحمد (2019). قاموس العرف القبلي، صنعاء: المعهد الأمريكي، 3/ 268-269.

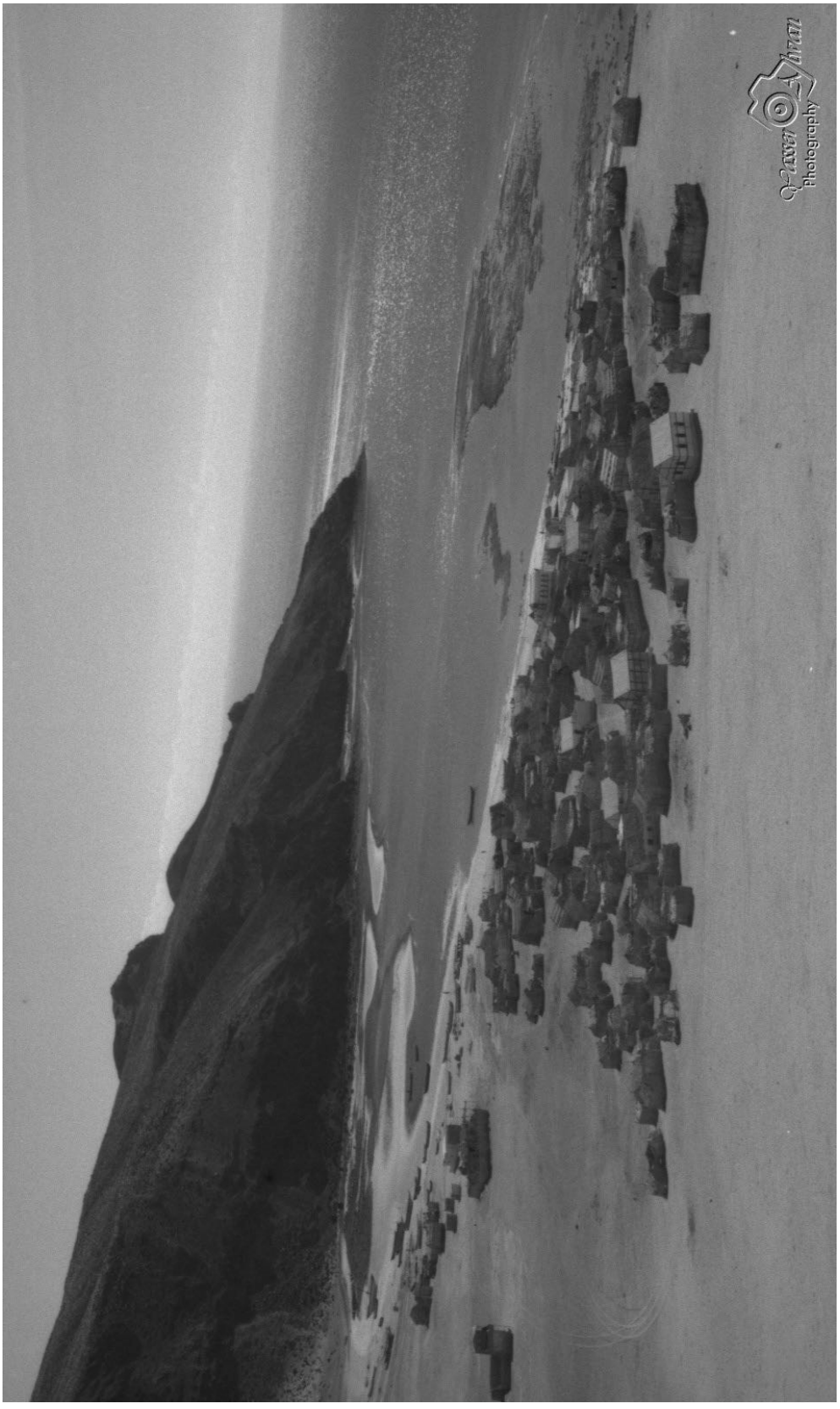

قرية فقم بداية الخمسينيات، نقلاً عن: Ivor "Taff" Davies

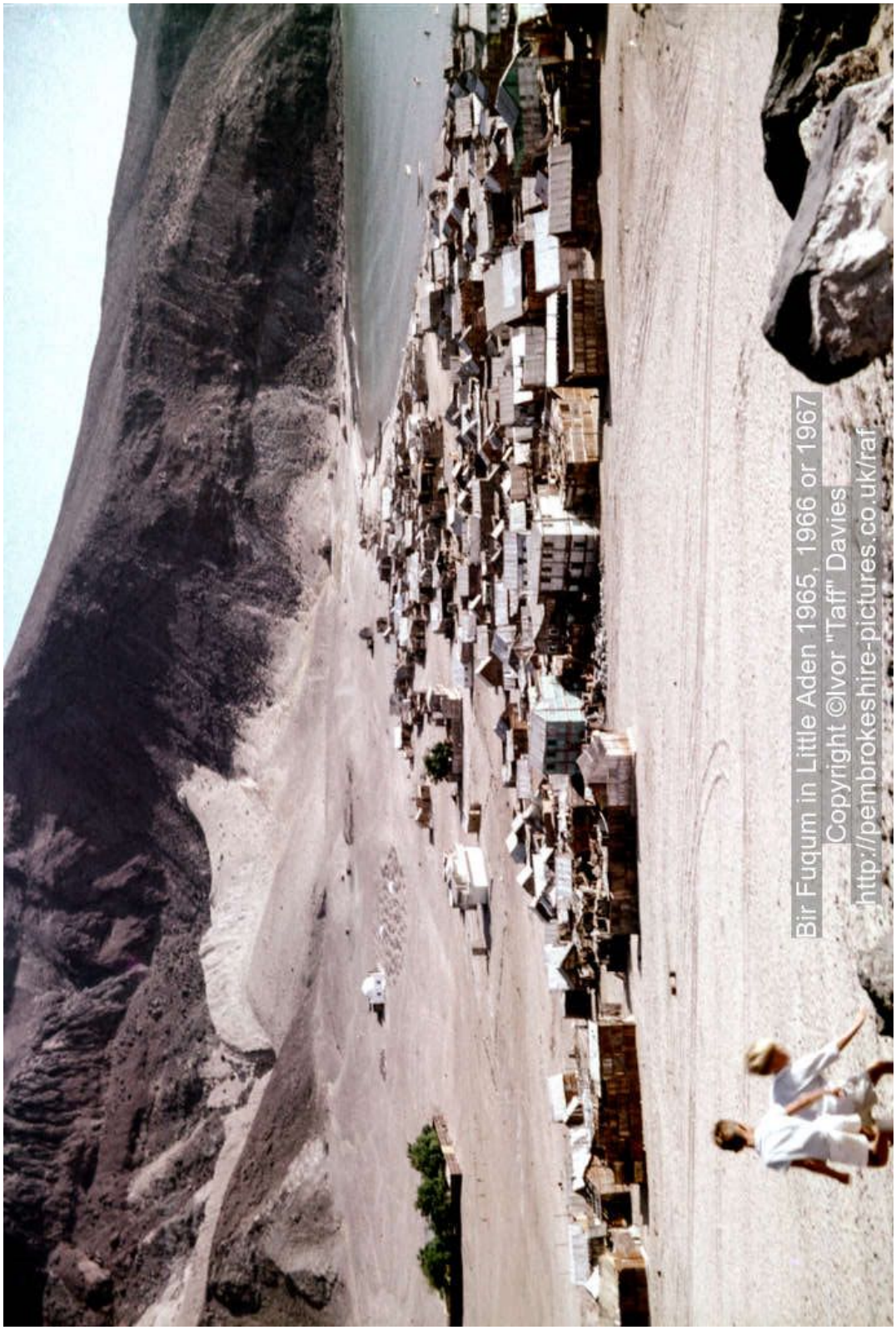

قرية فقم، الفترة بين (1965-1967)، تصوير: Ivor "Taff" Davies